

الباب الثاني

الفلاة الأولون

ظهر الغلو في التشيع في الكوفة في جنوب العراق ومنها انتشر شرقاً وغرباً ، ولعل مما يسترعى النظر أن يكون في الكوفة بالذات وليس في البصرة مثلاً . ومن العجب أيضاً أن يكون التشيع الغالي في الكوفة ولا يكون في المدينة حيث قضى على بن أبي طالب الشطر الأكبر من حياته . ويفسر ابن أبي الحديد (١) تفسيراً دقيقاً انتشار التشيع الغالي في العراق وفارس فيقول : « وما يتضح لي في الفرق بين هؤلاء القوم وبين العرب الذين عاصروا رسول الله ﷺ أن هؤلاء من العراق وسكان الكوفة وطينة العراق ما زالت تنبت أرباب الأهوال وأصحاب النحل البديعة ، وأهل هذا الإقليم أهل بصر وتدقيق ونظر ، وبحث عن الآراء والعقائد وشبه معترضة في المذاهب ، وقد كان منهم في أيام الأكاسرة مثل ماني ودبسان ومزدك وغيرهم ، وليست طينة الحجاز هذه الطينة ولا أذهان أهل الحجاز هذه الأذهان والغالب على أهل الحجاز الخفاء والعجرفة ، وخشونة الطبع ومن سكن المدن منهم كأهل مكة والمدينة والطائف قطبائعهم قريبة من طباع أهل البادية بالمجاورة ، ولم يكن فيهم من قبل حكيم ولا فيلسوف ولا صاحب نظر وجدل ولا موقع شبهة ولا مبتدع غلّة ، ولهذا نجد مقالة الفلاة طارئة وناشئة من حيث سكن على بالعراق والكوفة لا في أيام مقامه بالمدينة وهي أكثر عمره . ونحن نعلم أنه وقد على الكوفة - وقد اختطها سعد بن أبي وقاص بعد الفتح - الفرس أو الموالي ، وأسلموا - ولكن كانت عالقة بأذهانهم بعض بقايا أو رواسب من عقائدهم القديمة . أو بمعنى أدق ، أسلم الكثيرون منهم عن يقين وعقيدة ، وبقى الآخرون في رباط قوى بأديانهم القديمة ، ومن هؤلاء تكونت المراكز الغنوصية في الكوفة ، ومنهم ظهرت - فيما أرجع - الآراء الغالية .

ولكن إذا كانت الأديان الغنوصية قد وفدت إلى الكوفة ، فهل كان لها آثار من قبل ومراكز في قلب الجزيرة العربية ؟ إن شاهداً من اليعاقبة يوضح المسألة توضيحاً كاملاً ؛ ويشبها حين يتكلم عن أديان العرب ؛ إنه يقرر أنه بجانب بقايا دين إبراهيم ، كان هناك قوم من العرب دخلوا في دين اليهود .

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة مجلد ٣ ج ٧ ص ١٧٦-١٧٧ وقد وجه نظري إلى هذا النص تلميذ الدكتور أحمد

ودخل آخرون في دين النصرانية «وترندق منهم قوم فقالوا بالثنوية» (١) ، ويذكر «وترندق حجر بن عمرو الكندي» . فالثنوية إذن كانت موجودة في كندة . وقد سكنت قبيلة كندة بعد ذلك الكوفة ، وفي هذه القبيلة أيضاً نشأ الغلو الشيعي وكان من أخطر الزنادقة أبو سفيان الأموي وعدو الإسلام العتيد . بل إن مسيلمة المنتهى الكذاب قد تأثر بالثنوية أيضاً . وقد كان للدكتور محمد جابر عبد العال فضل توجيه أنظار الباحثين إلى النص الهام الذي أورده الجاحظ في كتاب الحيوان «أن مسيلمة طاف قبل التنبئ في الأسواق التي كانت بين دور العجم والعرب يلتقون للتسويق والبيعات كمنحوسق الأبله وسوق حكة وسوق الأنبار وسوق الحيرة يلتمس الحيل والنيرنجات واختيار المتجمين والمتنبئين» (٢) فكان وراء مسيلمة الكذاب إذن حركة غنوصة كبرى لم يتنبه الباحثون إليها من قبل . وقد سكن الكوفة - بعد اختطاطها - كثيرون ممن ارتدوا ، ثم أسلموا ، وبعض من ارتدوا مع مسيلمة ، وبقوا حتى بعد القضاء على الردة ، أتباعاً مخلصين لمسيلمة ، ومنهم عبادة الحارث أحد بني عامر بن حنيفة والمعروف بابن النواحة وقد كان عبادة الحارث رسول مسيلمة إلى النبي محمد ﷺ . وقد ذهب إلى الكوفة ولما علم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود «أمير عمر بن الخطاب على الكوفة» أن عبادة الحارث وجماعة معه ما زالوا يدينون بنبوة مسيلمة ، قام بقتلهم (٣) ، ففي الكوفة إذن يجتمع شذاذ الناس وأشرارهم مع خيارهم ، وأتى الصحابة كما أتى النصارى واليهود ، وأقبلت القبائل العربية كما أقبل الموالي ، وانتشرت الزندقة والسحر والنيرنجات . وكان فيها العمائية كما كان فيها حب على وآل البيت ، وانتشرت الحلقات المتعارضة والجماع المتنافرة ، ولما استفحل النزاع بين العلوية والعمائية أطلت رؤوس الجماع السرية والمراكز المتغلغلة الحفية ، وبجانب هذا كله كان هناك اليهود ، وفي العراق ، وفي مناهم السحيق أنشدوا التلمود وكتبوه ، وكان هناك النصارى أيضاً يتادون بتجسد الألوهية ، كان هؤلاء جميعاً يرقبون بعيون غادرة سيادة الجنس الآتي من الصحراء بعقيدة بسيطة سهلة يملكون بها أرض الأكاسرة والقيصرة ، وبقوا في انتظار الفرصة السانحة لتمزيق «الجماعة» وتفريق «الكلمة» وكان النزاع بين الهاشميين والأمويين فرصتهم السانحة .

كان مقدمة الغلوف عقائد التشيع غلوا في الحب ، والحب يستتبع دائماً الأسطورة ، تحيط المهبوب بكل غال . وقد أحبت مجموعة كبيرة من العرب آل البيت وأبناءه وانقسمت شيعة آل البيت أيضاً أقساماً : الهاشمية وكانت أخطر فرق الشيعة وأقواها : أتباع أبي هاشم بن محمد بن الحنفية والإمامية :

(١) البغوي : تاريخ ج ١ ص ٢١٤ .

(٢) الجاحظ : الحيوان ج ٤ ص ٣٦٩ ، ص ٣٧٠ وانظر أيضاً الدكتور جابر عبد العال حركات الشيعة المتطرفين ص ١٧ .

(٣) الدكتور جابر عبد العال : حركات الشيعة المتطرفين ص ١٨ .

أتباع أبناء الفواطم من حشنيين وحسينيين والجمعرية أتباع أبناء جعفر بن أبي طالب والعباسية أتباع أولاد العباس بن عبد المطلب .

والغلو يتناولهم جميعاً ، ويمحك حولهم أساطير وفوكلورا . كل واحد من هؤلاء كان نقطة البدء أو مركز الدائرة ، ثم يظهره الغالي من الشيعة بوجه خطت عليه مجموعة من الأصباغ المسيحية واليهودية والمندائية والمناوية والمزدكية والزرادشتية . وقد تنبه الشهرستاني إلى هذا فقال لنا في نص رائع « الغالية هم الذين غلوا في حق أنتمهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقة وحكموا فيهم بأحكام الإلهية ، وربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله ، وربما شبهوا الإله بالخلق ، وهم على طرفي الغلو والتقصير » وهذا تفسير واضح للغلاة ، ثم يبين مصدر هذا الغلو فيقول : « وإنما نشأت تشبيباتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ، ومذاهب اليهود والنصارى إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق ، والنصارى شبهت الخلق بالخالق ، فمرت هذه المشبهات في أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت بأحكام الإلهية في حق بعض الأئمة . وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة ، وإنما عادت إلى بعض أهل السنة بعد ذلك ^(١) فالشيعة إذن رواد التشبيه والتجسيم ثم انتقل التشبيه والتجسيم إلى فريق من أهل السنة والجماعة . ثم يحدد الشهرستاني بدع الغلاة فيرى أنها محصورة في أربع : التشبيه والبداء والرجعية والتناسخ ، ثم يرجع هؤلاء الغلاة إلى الفرق الآتية : الخزمية والكودية بأصفهان ، والمزدكية والسنادية بالري والدقولية أو الحميرية بأذربيجان ، والمبيضة بما وراء النهر ^(٢) ويرى في نص آخر أن الغلاة على أصنافها ، كلهم متفقون على التناسخ والحلول . ويقرر أن مصدر التناسخ ليس فقط المحوس المزدكية ، بل إن الغلاة تلقوها أيضاً من براهمة الهند والفلاسفة الصابئة وأن مذهبهم : أن الله قائم بكل مكان ، ناطق بكل لسان ، ظاهر بكل شخص من أشخاص البشر وهذا مذهب وحدة الوجود - يخلطه الشهرستاني بمذهب الحلول . ولكنه يستدرك فيقول « وقد يكون الحلول بجزء هو كإشراق الشمس في كوة كإشراقها على البلور ، وأما الحلول بالكل ، فهو كظهور ملك بشخص أو كشيطان بحموان . ومراتب التناسخ أربعة : النسخ والمسخ والفسخ والرسخ وأعلى المراتب مرتبة الملكية أو النبوة ، وأسفل المراتب الشيطانية أو الجنية ^(٣) » وأياً ما كان الأمر ، فقد تنبه الشهرستاني إلى الجوانب المتعددة الغنوصية والفلسفية للغلو ، ووضحها وضوحاً أقرب إلى الحقيقة .

وسنحاول أن نعطي صورة لنشأة الغلو ، محاولين بكل وسيلة أن نفصل نوعين من الغلو : الغلو في

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٨٨-٢٨٩ .

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٢٨٩ .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٩١-٢٩٢ .

الحب ، والغلو في العقيدة ، وإن كان الأول قد أدى إلى الثاني ، في كثير من الأحوال . ولا يصير المجتمع الإسلامي في شيء أو العقيدة في شيء أن يغلو إنسان أو مجموعة في حب آل البيت ، ولكن يهدم العقيدة أن ينسب لواحد من أهل البيت النبوة أو الألوهية أو أن ينحل علم ما كان وما هو كائن وما سيكون . وأن يؤدي هذا إلى تكوين فرق خطيرة علنية وسرية لتقويض الكيان الإسلامي ، وتفتيت الجماعة ، ولم يستنكر علماء أهل السنة والجماعة حركة التواوين ، كما لا يستنكر الكثيرون منهم حركة المختار ابن أبي عبيد ، بل إننا نرى أبا حنيفة عالم الإسلام الكبير يؤيد زيد بن علي في خروجه على بني أمية ، ويمدحه بالمال والعون ، ولم يكن أبو حنيفة شيعياً . بل نرى أيضاً الإمام الشافعي - وهو أبعد الناس عن التشيع ، يردد .

لو كان رفضاً حب آل محمد فليعلم الثقلان إني رافض فالحجة والحب لا يصير فيها ، وإنما أدت المحبة والغلو في المدينة ، وفي الكوفة إلى أخطر النتائج في المجتمع الإسلامي ، كما أدت إلى أخطر النتائج أيضاً في التصوير النهائي لعقائد الشيعة الإمامية الاثني عشرية - وسنبداً في شرح آراء الغلاة حول محمد بن الحنفية وابنه أبي هاشم ، فقد كانت هذه الآراء - كما قلت - أول آراء غالبية في المحيط الشيعي .

الفصل الأول

غلاة الكيسانية الأبى هاشمية

كان لابد أن يفرخ الغلو ويبيض في الكوفة أولاً وفي المدينة ثانياً ثم ينتقل منها شرقاً وغرباً . وقد بدأ الغلو في الكوفة ، وفي أوساط النساء بالذات ، وكانت الكيسانية والمختارية تنشر التشيع وتملأ به متدنيات الكوفة ومجامعها ، وكان أثر الكيسانية النافذ في نساء الكوفة .

وقد شغلت نساء الكوفة بالتشيع أكثر من الرجال ، واستجابت لعقيدة الحب الكبرى في عترة آل البيت ، حباً ملك عليهن كل شيء . وقد بدأ الغلو في بيت امرأتين كوفيتين من الكيسانية هما : هند بنت المتكلفة الناعطية ولىلى بنت قامة المزنية الناعطية . يقول الطبرى : « إن هند بنت المتكلفة الناعطية كان يجتمع إليها كل غال من الشيعة فيتحدث في بيتها ، وفي بيت لىلى بنت قامة المزنية . . » ويبدو أن هذين البيتين كانا أول حلقات أو ندوات التشيع الغالى ، ويبدو أن هذا قد حدث بعد مقتل الحسين عليه السلام . ويذهب نص الطبرى إلى أن « أخاها - أخو لىلى بنت قامة - رفاعة بن قامة كان من شيعة على وكان مقتصداً فكانت لا تحبه » فكان هناك إذن في هذا الوقت المبكر شيعة معتدلة وشيعة غلاة . وذهب أبو عبد الله الجدللى ويزيد بن شراحيل - ونحن نعلم أن أبا عبد الله الجدللى كان على جيش المختار الموفد لمكة لإنقاذ محمد بن الحنفية من براثن عبد الله بن الزبير - إلى محمد بن الحنفية وأخبره خبر هاتين المرأتين وغلوهما في حب آل بيت رسول الله ، وخبر الغلاة الآخرين « وهم أبو الأحراس المرادى والبطين اللثى وأبو الحارث الكندى » (١) .

ولا نجربنا الروايات التاريخية الشيء الكبير عن هند بنت المتكلفة الناعطية . وكان عبد الله بن نوف من تلامذتها ، وعبد الله بن نوف كان أمير السرية التي خرجت بأمر المختار لقتال مصعب بن الزبير . فهند إذن عاصرت هى ولىلى بنت قامة تلك الأحداث العظمى التي حدثت في الكوفة من قتل الحسين إلى حركة التوايين إلى قيام المختار - وكانت الشعلة الكبرى في إذكاء الشعور الشيعي الغالى ، ويذكر الطبرى أن عبد الله بن نوف خرج من بيت هند بنت المتكلفة حين خرج الناس إلى حروراء لقتال مصعب - وهو يقول « يوم الأربعاء ، ترفعت السماء ونزل القضاء : بهزيمة الأعداء » فلما انهزم قال له عبد الله بن

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٧٢١-٧٢٣ .

شريك النهدى وكان من رجاله وقد سمع مقاله « ألم ترعنا لنا يابن نوف أنا سنهزمهم قال : « أو ما قرأت في كتاب الله ، يحول الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » (١) . وهنا يتضح لنا أنه أخذ هذا القول وتعلمه في بيت هند وقد أدى هذا القول إلى فكرة « البداء » إحدى الأفكار الشيعة الكبرى ، والتي أخذت بعد ذلك مكانها الكبير في عقائد الشيعة الغالية والمعتدلة على السواء . فبيت هند المتكلفة وبيت ليلي بنت قامة كانا ندوتين لتفسير القرآن على طريقة الشيعة - وأيضاً ميداناً لأفكار غنوصية وغيرها . ونستنتج أيضاً من كتاب محمد بن الحنفية لشيعة في الكوفة حين علم بأمر هند وليلي - أن فكرة العلم السري الغيبي قد نسبت إلى أهل هذا البيت النبوي - يقول محمد بن الحنفية في خطابه « من محمد ابن علي - إلى من بالكوفة من شيعتنا : أما بعد : فاخرجوا إلى المجالس والمساجد ، فادكروا الله علانية وسراً ولا تتخذوا من دون المؤمنين بطانة ، فإن خشيتم على أنفسكم ، فاحذروا على دينكم الكذابين وأكثروا الصلاة والصيام والدعاء ، فإنه ليس لأحد من الخلق يملك لأحد ضرراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله ، وكل نفس بما كسبت فاعملوا صالحاً وقدموا لأنفسكم حسناً ولا تكونوا مع الغافلين » والخطاب يدل دلالة واضحة على النهي لما يتردد في الكوفة وفي بيتي هند وليلي من أفكار لم يرد محمد بن الحنفية أن تنتشر بين الشيعة .

أما ليلي بنت قامة الناعطية ، فهي كما قلنا ، أخت رفاعة بن قامة الناعطي ، نسبة إلى ناعط حصن في رأس حميل بناحية اليمن ، ونحن نعلم أن التشيع فشا في اليمن ، « وكان الناعطيون من أصحاب علي في الكوفة وطائفة من طوائف جيشه في اليمن » (٢) وفي هذا الوسط الشيعي نشأت ليلي الناعطية ، وكانت ذا عقل مدبر بحيث اعتقد بشارين برد فيها بعد ، أنها عادت في التناسخ إلى نحلة ، والنحلة مشهورة في سلسلة التناسخية بتعقلها ، ويرد عليه صفوان الأنصاري :

أنجعل ليلي الناعطية نحلة وكل عريق في التناسخ والرد
عليك بدعد والصدوف وفرني وحاضني كسف وزاملتي هند

عاشت ليلي الناعطية وهند المذكورة في آخر البيت في عقائد الشيعة حتى عهد بشار (٣) . - بل ويذكر صفوان الأنصاري أيضاً حاضنة الكسف . أي حاضنة أبي منصور العجلي كما سنين فيما بعد - واسمها الميلاء ويقول أعشى همدان (٤) :

(١) نفس المصدر السابق ونفس الصحائف .

(٢) الجاحظ : البخلاء - ص ٣٥٠ ، ٣١٠ - (تعلين ٥٦ لمحقق الكتاب) .

(٣) الجاحظ : البيان والبيان ج ١ ص ٤٠ .

(٤) الجاحظ : الحيوان ج ١ ص ٢٦٦ ، ج ٦ ص ٣٨٩ .

إذا سرت في عجل فسر في صحابة وكندة فاحذرهما حذارك للخسف
وفي شعبة الأعمى خناق وغيلة وقشب^(١) وإعمال الجندلة القذوف
وكلهم شر على أن رأسهم حميدة والميلاء حاضنة الكسف

وسنعود إلى هذه الأبيات فيما بعد . ولكن يهنا الآن أنه ذكر حميدة - ويذكر الجاحظ « أنها كانت من أصحاب ليلي الناعطية ولها رياسة في الشيعة »^(٢) - والميلاء حاضنة أبي منصور . وهذا يدل دلالة واضحة على أن ليلي كانت قد توفيت - حين قام أبو منصور العجلي بحركته الرهية . ويبدو أن تلميذ ليلي - حميدة والميلاء - أثرتا فيه أثراً كبيراً - وسنراه أيضاً يفسر « وإن يروا كسفا من السماء ساقطاً يقولوا أصحاب مركوم » بأنه هو الكسف ، ونحن نعلم أن عبد الله بن نوف من قبل حاول تفسير « يحو الله ما يشاء ويثبت » بالبداء ، فالصورة واحدة ، صورة غنوصية لا خلاف فيها . وأخيراً فإن ليلي الناعطية كانت متسكة زاهدة حاول الجاحظ في البخلاء أن يسخر من تزهدا وتسكها فاعتبرها في محاولة مضحكة من البخلاء « وأما ليلي الناعطية ، صاحبة الغالية من الشيعة ، فإنها ما زالت ترقع قميصا لها وتلبسه ، حتى صارت لا تلبس إلا الرفو ، وذبح جميع الكساء ، وسمعت قول الشاعر :

البس قميصك ما اهتديت لجيبه فإذا أضلك جيبه فاستبدل .

فقلت إنى إذن لخرقاء - أنا والله أخوص الفتى وفتى الفتى ، وأرقع الحرق وخرق الحرق^(٣) . ولعل هذا مدخلا من مداخل التصوف ومنشأ لفكرة المرقعة الصوفية ، أو الحرق التي أخذت مكانها الكبير في التصوف بعد ذلك . ولعل الجاحظ فيما بعد - قد أدرك حقيقة ليلي الناعطية فقال في نص آخر « من النساك والزهاد من نساء الغالية ليلي الناعطية والصدوف وهند »^(٤)

وسيوذى تنسك النساء الكيسانيات إلى ظهور زنادقة الصوفية ، وهم الذين سيلعبون في أوائل التصوف دوراً هاماً .

وبعد : فهذا أوائل التشيع الغالى عند النساء الكيسانيات . ولكن ما لبث التشيع الغالى أن يأخذ وجهة منظمة على يد الكيسانية . فيعلن في الكوفة خلود محمد بن الحنفية ورجعته ، أى يعلن بصورة قاطعة مهاديته .

(١) فسر محقق الحيوان القشب : غلط الطعام بالسم ، وجندلة : واحدة الجندل وهو الحجارة ؛

(٢) الجاحظ : الحيوان ج ٢ ص ٣٩٠ - ٣٩١ .

(٣) الجاحظ : البخلاء ص ٣٧ .

(٤) الجاحظ : البيان ... ج ١ ص ١٨٣ .

وأقدم من نادى بالرجعة من فرق الشيعة : هم «أصحاب أبي عمرة من المختارية» ويعنى هذا أن فكرة الرجعة نشأت لدى موالى الكوفة الكيسانية من أصحاب أبي عمرة بعد مقتل كل من المختار وأبي عمرة . ورأى هؤلاء الموالى أن إمامهم الذى أحبوه وقاتلوا وقتلوا لأجله - محمد بن الحنفية - قد لجأ إلى عبد الملك بن مروان وبايعه . فلجأوا هم إلى دورهم تجمعهم محبته ، ومولاته ، وبعضهم وبقلقهم ببايعته لعدوه ولعدوهم . ثم مات محمد بن الحنفية ، فتولوا ابنه أبا هاشم . ثم مات أبو هاشم . فأعلنوا أنهم فى التيه ، لا إمام لهم ولا قيم ولا مرشد . إن عليا - فى نظرهم - أوصى إلى الحسن ، والحسن وصى إلى الحسين وأوصى الحسين إلى محمد بن الحنفية . «فكان العلم والمفتع فى دار التقية» ولكن محمد بن الحنفية أذنب حين لجأ إلى عبد الملك بن مروان الجبار وبايعه . فعاقب الله الإمام وأخرجه من داره بأصحابه وأهله وأوغله فى جبل وعمر ، وغار مظلم . إن الله فعل هذا من قبل مع الأنبياء والرسل المقربين عقوبة لهم على معصيتهم . فأخرج آدم من الجنة وأهبطه إلى الأرض عقوبة له على معصيته . كما عاقب ذا النون حين أذنب فقذف به فى بطن الحوت ، فكانت تلك عقوبته ، وكذلك فعل الله فى محمد بن الحنفية ، ففيه فى ظلمات شعب رضوى عقوبة على معصيته . وحين حضره الأمر ، وعلم أن الله أراد إخراجهم إلى الشعب وإيلاجه فى الكهف ، «نبد الأمر إلى ابنه عبد الله أبى هاشم» وكان الإمام يعلم أنه لا عقب له ، ولم يكن يحضرته من بنى على سواه . فكانت الإمامة وديعة عند الإمام الصامت أبى هاشم إذ غيب الله الإمام الناطق . فلما مات أبو هاشم ولم يعقب ، ولم يوص بها إلى أحد من رهنه ، لأن الله أراد أن يعيدها إلى محمد بن الحنفية بعد تمام العقوبة وقدر المدة والاستحقاق ، وقد فعل الله هذا من قبل مع ذى النون ، فأخرجه من حبه - من بطن الحوت ، وأعادته إلى عز نبوته ، «والنامس اليوم فى التيه يدخلون فيما يخرجون منه ، ويخرجون مما يدخلون فيه ، لا يعرفون حجة من غيره ، ولا حقا من شبهة ، ولا يقينا من خبرة ، حتى يبعث الله الإمام العالم ، محمد المكنى بأبى القاسم ، على رغم الراغم ، والدهر المتفاقم ، فيملك الأرض جميعاً ، ويقطعها من حاية قطعاً» ويقول أبو خلف القمى إنه ينقل إلينا ألفاظهم بنفسها ، ثم يذكر أنهم تغالوا فى على غلوا تجاوزوا به غلو السبئية^(١).

ومن الواضح تماماً أن الموالى من أتباع أبي عمرة شعروا بحسرة شديدة بعد فشل حركة المختارية والكيسانية . فعادوا كما قلت يعيشون تحت سياط بنى أمية . وكان المختار قد سوى بينهم وبين العرب . كما أنهم أيضاً آمنوا بأحقية آل البيت فى الإمامة ، وأصبحت لهم فى عنق محمد بن الحنفية بيعه لم يتخلوا عنها على الإطلاق وبقوا على ولائهم له حتى بعد مبايعته لعبد الملك بن مروان . كما بايع من قبل

يزيد بن معاوية . في هذا الجو القاتم ، عاشوا يرسمون الأسطورة حول مهديهم ، وأطل اليهود - كالعادة - بوحون إليهم «أنهم في التيه» مثلهم مثل اليهود تماماً ، وأن المهدي محتف لا يظهر بسبب معاصيه ، كما أنهم لا يعرفون الحق «من الشبهة» ولا «اليقين من الخبرة» وهنا نداء واضح لرفع التكليف ، والتحلل من أوامر الشريعة ونواهيها (١) . ثم إننا نرى أيضاً أول ظهور لفكرة الإمام الناطق والإمام الصامت ، تلك الفكرة التي ستلعب دوراً هاماً لدى الغلاة ، كما ستؤثر أثراً نفاذاً لدى الإسماعيلية .

كانت عقيدة الرجعة - فيما يبدو - تنتشر إذن في الكوفة وفي المدينة وقد أخذت تتطور في صورة أسطورية لدى طائفتين - الكربية - أتباع أبي كرب الضرير : وقد ذهب إلى أن محمد بن الحنفية حتى لم يميت ، وأنه في جبل رضوى وعنده عين من ماء وعين من عسل ، يأخذ منها رزقه ، وعن يمينه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائه إلى وقت خروجه وهو الإمام المنتظر (٢) . أما الطائفة الثانية فهي الحربية - أتباع عبد الله بن عمر بن حرب الكندي . كان عبد الله بن حرب من قبيلة كندة الغالية . وكان أول أمره أبا هاشمياً ثم ادعى أن الوصية خرجت من أبي هاشم إليه . فهو الإمام غير أن أقدم مصدر شيعي يحدثنا بأن ابن حرب هو أول من نادى بأن الأئمة أربعة أسباط بهم يستق الخلق الغيث ، ويقاقل العدو ويظهر الحجة وتموت الضلالة ، من تبعهم لحق ومن تأخر عنهم محق . وإليهم المرجع وهم كسفينة نوح من دخلها صدق ونجا ، ومن تأخر عنها غرق وهوى . وتستند الحربية في هذا على خطبة علي ، عند زوال التقية عنده في أول خطبة خطبها . أي حينما بوع للخلافة ، فنطق للمسلمين بحقيقة أهل البيت فقال «ألا إن عترتي وأطياب أرومتي أحلم الناس صغاراً وأعلمهم كباراً . ألا وإنا أهل بيت ، من علم الله علمنا ، ومن قول الله سمعنا ، إن تبعوا أثرنا ، تهتدوا ببصائرنا ، وإن تدبروا عنا يهلككم الله بأيدينا ، معنا راية الحق ، من تبعها لحق ، ومن تأخر عنها محق ، ألا وبنا تدرك نرة كل مؤمن ، وبنا يخلق الله ربة الغل من أعناقكم ، ألا وبنا تفتح ، وبنا نختم ،

هؤلاء هم الأسباط الأربعة ، عترة أهل البيت . «سبط إيمان وأمن ، وهو علي ، وسبط نور وتسليم وهو الحسن ، وسبط حجة ومصيبة وهو الحسين . وسبط أخير» هو الذي يبلغ الأسباب ، ويركب السحاب ويركي الرياح ، وينفخ المد ، ويسد باب الروم ، ويقم أود الحكم ، ويبلغ الأرض السابعة ، ويقرب منه الحق ، وينأى عن الجور ، وهو الإمام المنتظر محمد بن علي بن الحنفية إمام الحق» وهكذا أحب هؤلاء الكربية والحربية محمد بن الحنفية ، فلما لم يتحقق لهم شيء من آمالهم فيه في حياته ، ومات عياناً ، لم يصدقوا بموته ، وقالوا إنه لم يميت . لقد وضع مثله في مضجعه ، ومضى

(١) أبر خلف القمي : كتاب المقالات ص ٢٢ / ٢٣ .

(٢) البغدادي : الفرق ص ٢٧ .

مهاجراً . كما وضع الرسول محمد ﷺ علماً في مضجعه وهاجر . وهكذا فعل محمد بن الحنفية ، هاجر إلى الله ، فغيبه في جبل رضوى بين أسدين ونمرين تؤنسه الملائكة ، ويحرسه النيران^(١)

وهكذا أعلن الكرية من ناحية والحربية من ناحية أخرى غيبة محمد بن الحنفية ، ونادوا برجعته . وسرعان ما التفت مجموعة من الشعراء حول الكرية والحربية تنادى بأرائهم ، بحيث تكون أدب كيباني ، ينشر الآراء الكيسانية في العالم الإسلامي . وكان في مقدمة هؤلاء الشعراء ، الشاعر الغزلي المشهور كثير بن عبد الرحمن المشهور بكثير عزة (المتوفى عام ١٠٥ هـ = ٧٢٣ م) ويبدو أنه كان كريياً وحريراً ، ولكنه اشتهر بالكيسانية على العموم . وصور لنا في شعره قصة الأسباط (٢) :

ألا إن الأئمة من قريش ولالة الحق أربعة سواء
على الثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر وسبط غيثه كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يسرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء

وهنا إعلان بالغيبة الكيسانية ، وستنتقل الفكرة بنفسها إلى الإمامية الاثني عشرية - ينسبونها إلى الإمام الثاني عشر . ثم يؤكد إمامية محمد بن الحنفية في أبيات جميلة رقيقة (٣) .

مامت يامهدي يابن المهتدي أنت الذي يرضى به ويرغى
أنت ابن خير الناس من بعد النبي أنت إمام الحق لنا نمتري
يابن على سر ومن مثل على سر بنا مصاحباً لانشئ
حتى تجاوز ذات كرب وبلى ثم أقبل جارك الله العلى
يين لنا وانصح لنا يا ابن الوصي يين لنا من ديننا ما نبغى

أما قصة الأسباط فقد وردت في القرآن ، ولكن اقتباسها وتطبيقها على الأربعة من أهل البيت يسترعى النظر في أوساط الكوفة ، ومن قبل نادى السبئية بمهدية على في المدائن . فالمتزج يهودى بحث ، ولا شك أن السبئية بدأت تختلط بالكيسانية في الكوفة . وبيان لنا كثير - المصدر اليهودى بيساطة ، حين يقول (٤) :

(١) أبو خلف القمي : كتاب المقالات والفرق ٤ ص ١٧ / ٢٨ .

(٢) البغدادي : الفرق ص ٢٢ .

(٣) أبو خلف القمي : كتاب المقالات ص ٢٩ .

(٤) ابن خلكان : وفيات ج ١ ص ٤٣٣ .

هو المهدي خيرناه كعب أخو الأخبار في الحقب الخوالى
أقر الله عيني إذ دعاني أمين الله يلفظ في السؤال
وأنتى في هواي على خيراً وساءل عن بنى وكيف حالى

فكعب الأخبار إذن - تلك الشخصية اليهودية الغريبة في العصور الأولى من الإسلام ، هي التي أخبرت بمهدية ابن الحنفية ، أنه وجد عنده في الكتاب مهدية محمد بن الحنفية ، اختفاؤه أو غيبته - ثم رجعت . عبد الله بن سبأ والسبأية . . . قصة الأسباط - كعب الأخبار . لا جرم بعد ذلك أن يعلن أهل السنة أن منشأ الرافض يهودى .

ويرى ابن خلدون أيضاً أن مصدر فكرة الواقعية هم أتباع أبي هاشم بن محمد الحنفية . والواقعية عنده هم القائلون بإمامة واحد بعينه ، والقول بجيانته الخالدة فهو حى لم يمت ، ولكنه غائب عن أعين الناس . ويستشهد الواقعية على هذا بقصة الخضر ، وهو الشخصية القرآنية التي أعلن المسلمون خلوده . وأن الله أظهره لموسى ليعلمه معنى الظاهر والباطن « وما فعلته عن أمرى » ثم ليفسر له الفرق بين « عالم الغيب وعالم الشهادة » ويرى ابن خلدون أن أول إمام اعتقد الشيعة بغيبته هو على بن أبى طالب . وأن السبأية . ثم الكيسانية من بعدها اعتقدت أنه في السحاب والرعد صوته . والبرق سوطه . ثم قالوا مثله في محمد بن الحنفية . أو بمعنى آخر إن السبئية قد انصهرت في بوتقة الكيسانية . أو أن الفكرة لم تأخذ صورتها الكاملة إلا ممثلة في محمد بن الحنفية وأن ملامح المهدي تنضح فيه أكثر من اتضاحها في أبيه على بن أبى طالب . ونسبت مهدية على بن أبى طالب وعاشت مهدية محمد بن الحنفية . وأخذت تستمد أصولها من القرآن . فليس في القرآن فقط . قصة الخضر الخالد ، بل قصة الكثيرين ممن ماتوا ثم حيوا .

ويستشهد الكيسانية لذلك بما وقع في قصة أهل الكهف « أو كالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها . قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها ، فأما الله مائة عام . ثم بعثه ، قال كم لبثت : لبثت يوماً أو بعض يوم ، قال بل لبثت مائة عام » وقتل بنى إسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التي أمروا بذبحها . . فأحياء الله وأرشد عن قاتله « وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها . والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريككم آياته لعلكم تعقلون » (١) ويعبر عن هذا الرأي السيد الحميرى (الشاعر المشهورة المتوفى عام ١٧٣ هـ - ٧٨٩ - ٧٩٠ م) في شعره :

(١) ابن خلدون : مقدمة ٥٣١-٥٣٩ - وانظر هامش (٦٠٢) (٦٠٣) للدكتور على عبد الواحد .

إذا ما المرء شاب له قذال وعلاه المواشط بالحضاب
فقد ذهب بشاشته وأودى فقم يا صاح نيك على الشباب
إلى يوم تثوب الناس فيه إلى دنياهمو قبل الحساب
فليس بعائد ما فات منه إلى أحد إلى يوم الإياب
مناد أن دين الله حق وما أنا في النشور بذي ارتياب
كذلك الله أخبر عن أناس حيوا من بعد درس في التراب

أما هذا الإمام الذي سيعود - عند السيد الحميري - فهو محمد بن الحنفية :
يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى حتى متى تحقق وأنت قريب
يا ابن الوصي ويا سمى محمد وكنيه نفسى عليك تذنوب
لو غاب عنا عمر نوح أبقت منا النفوس بأنه سيؤوب
بل إن السيد الحميري ليفتن أشد الافتتان بمحمد بن الحنفية فيطلق أشعاره .

سنين وأشهرها ويرى برضوى بشعب بين أنمار وأسد
مقيم بين آرام وعين وحفان تروح خلال ريد
تراعيها السباع وليس منها ملافيهن مفترساً بمحد
أمن به الردى فرتعن طورا بلا خوف لدى مرعى وورد

فمحمد بن الحنفية في رأى الكيسانية خلد على الزمن - يقيم بشعب رضوى بين النخور والأسود .
تحف به الطباء والشياه ، ولا تجرؤ هذه النخور والأسود أن تفرسها ، إنها آمنة طالما كانت تحيا في رحاب
المهدي الوصي وتأخذ فكرة الأسباط في عقائد الكيسانية مكانها الكبير وتضخم شيئاً فشيئاً ، وتستمد
الكيسانية من التراث اليهودي - فهو عند اليهود « لاوى ويهوذا ويوسف وبين يامين ، وبنو هاشم أسباط
مثل هؤلاء ، وفيهم الإمامة والملك في أربعة .

ويفسر الكيسانية التين والزيتون وطور سينين ، وهذا البلد الأمين ، بأنها رموز وكنائيات على الأئمة
الأربعة ، فالتين على الزيتون الحسن ، وطور سينين الحسين . وهذا البلد الأمين محمد بن الحنفية . إنهم
عمد الإسلام وقوامه . فأقسم الله بهم . وجعل الله البلد الأمين محمد بن الحنفية ، لأنه آخرهم في
الوصية ، وأنه المهدي المنتظر ، يخرج من البلد الأمين ، في عدد أهل بدر ، فيقتل الجبابرة ويهدم
دمشق - بلد الأمويين - ويكون معه الرايات السود . فإذا خرج من الغار ، تقدمه الأسد ، وتأخره

الفران ، والملائكة على يمينه وشيعته على يساره . . . آمال أسطورية ترددت في حلقات الكيسانية .
وبعلها السيد الحميري في شعره :

ألا حى المقيم بشعب رضوى وأهد له بمزله السلاما
ألا قل للوصى فدتك نفسى أطلت بذلك الجبل المقاما
أضر بمعشر والوك منا وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طرا مقامك عنهم سبعين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت ولا وارت له أرض عظاما
وان له به لمقيل صدق وأنسدية تمحدثه كراما
لقد أمسى المجاور شعب رضوى تراجع الملائكة الكلاما
تمام مودة المهدي حتى ترى راياته تجري نظاما
تري راياته بالشام سودا وبين النقع تحسبها قتاما
فيهدم ما بنى الأحزاب فيه ويلقى أهله منه غراما^(١)
جزاء بالذى عملوا وتنفى جبابرهم ويستقم انتقاما

ضحمت أسطورة المهدي إذن ، وتناقلها شعراء الكيسانية في أرجاء العالم الإسلامي . وبدوان
الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية كانوا يدعون بالمهدين بمعنى هداة . أو بمعنى من وضعهم الله في
طريق الهدى ، ثم وضعت لها الكيسانية معنى خاصاً هو خلود الإمام ورجعته .

ولقد عاشت الرجعة كما قلنا قوة صارخة لدى الكيسانية وبخاصة حين تنتقل إلى القرمطة ، وقد
انتقلت إلى طوائف الشيعة المختلفة . وأصبحت ركناً من أركان التشيع - بل ديناً - غير أن أبرز آثار
الكيسانية إنما كانت في تصوير فكرة الغيبة عند الشيعة الاثني عشرية . وقد تنبه ابن خلدون من قبل إلى
هذا فقال « مثله غلاة الإمامية فيهم وخصوصاً الاثني عشرية ، يزعمون أن الثاني عشر من أئمتهم . وهو
محمد بن الحسن العسكري ويلقبونه المهدي دخل في سرداب يدارهم بالحلة ، وتغيب حين اعتقل مع
أمه ذهاب هنالك ، وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً^(٢) » وهكذا أثرت عقائد الكربية في
الشيعة الاثني عشرية ، إنها أخذت نفس الفكرة وصيغت بها قصة الإمام الثاني عشر ، وكما ينتظر
الكربية الموق ، تنتظر الشيعة الاثني عشرية .

وقد انتقلت عقائد الكربية إلى المدينة ، وقام بأمر هذه الطائفة حمزة بن عمار البربري ، ولكنه

(١) أبو خلف القمي : كتاب المقالات ص ٣٠-٤٣ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ج ٢ ص ٥٣١ .

ما لبث أن خرج عليها حين غلا في محمد بن الحنفية ، وذهب إلى نوع من الوهيته ، كما أعلن أنه هو -
 أى حمزة - نبي وبهذا يكون إمام الشيعة الأبي هاشمية . وقد أدى به إعلانه لنبوته - وأنه ينزل عليه
 سبعة أسباب من السماء يفتح بها الأرض ويملكها - بأن نسخ بعض أحكام الشريعة الإسلامية -
 فتزوج ابنته ، وأحل جميع المحارم (١) . وقد تبعه في دعوته بعض أهل المدينة والكوفة . وكان حمزة
 البربري يعاصر الإمام محمد الباقر . وقد علم بأمره ولكن ما لبث رجلاً من أهل الكوفة أن آمنّا بكلامه
 ونشر آراءه وهما « صائد النهدى ، وبيان بن سمعان » . وقد تبرأ منها أيضاً الإمام جعفر الصادق فيما
 يذكر الكشي والحلي - وكانا أيضاً من جملة السبعة الملعونين ، كما كان منهم حمزة البربري .

أما صائد النهدى فقد اعتبره الإمام جعفر الصادق من جملة ممن تنزل عليهم الشياطين من قوله
 تعالى « هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم » وهم سبعة في رأى الصادق .
 أحدهم : صائد النهدى ، وقد أعلن الصادق أيضاً أن صائداً ممن كذب عليه (٢) .

أما بيان بن سمعان التميمي ، فهو الشخصية الأخرى ، والتي نالت أهمية أكثر من أهمية صائد في
 تاريخ العقيدة الشيعية الغالية ، ويذكر المؤرخون أنه بيان بن سمعان النهدى (٣) ويقول الإيجي صاحب
 المواقف إنه بيان بن سمعان التميمي النهدى اليمنى (٤) فهو إذن من تميم من اليمن . ويذكر ابن حجر
 العسقلاني أنه ظهر في العراق بعد المائة . وكان بيان ثباتاً يبين التبن في الكوفة (٥) . كان بيان - كما
 قلت - تلميذاً لحمزة البربري . أخذ منه فكرة قدسية الإمام ، ونبوته وكيله . ومن الخطأ القول بأن
 الغلاة اعتبروا الأئمة آلهة . وإنما قالوا بحلول جزء إلهي في الإمام فهو شخص مقدس مصون . وقد ذهب
 بيان إلى تجسد نوع من القداسة في أبي هاشم ، فلما مات أبو هاشم أعلن أن أبا هاشم نبي بياناً أي أعلنه
 نبياً . وتأول في ذلك قول الله عز وجل « هذا بيان للناس وهدى » فهو إذن البيان المذكور في القرآن
 والمبشر به بوصاية أبي هاشم . ونحن نرى أن التفسير المتوصى للقرآن - الذي بدأ في بيت كل من ليلى
 الناعطية وهدى المزنية يعود ثانية ، وسيفعل أبو منصور العجلي نفس الشيء ، ويستمر هذا النوع من
 التفسير لدى الإمامية الاثني عشرية ولدى الإسماعيلية ونراه لدى البائية والبهائية في عصورنا الحديثة .
 أعلن بيان نبوته ، وأرسل إلى الإمام الباقر أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين يدعوه إلى نفسه وإلى

(١) التوحيدي : فرق الشيعة : ص ٢٨ .

(٢) أبو خلف القمي : كتاب المقالات ص ٧٥ .

(٣) البغدادي : الفرق : ص ١٣٦ والرازي : اعتقادات ص ٥٧ .

(٤) الإيجي : المواقف ج ٥ ص ٣ .

(٥) ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان ج ٢ ص ٦٥ .

الإقرار بنبوته . ويقول له «أسلم تسلم ، وترتق في سلم ، وتنتج وتغنم ، فإنك لا تدري أين يجعل الله النبوة والرسالة ، وما على الرسول إلا البلاغ ، وقد أعذر من أنذر» (١) .

وبدأ خطر بيان يشتد ويكبر في المجتمع الإسلامي في الكوفة ، وبدوا أنه نسخ بعض شريعة محمد ﷺ (٢) ولما رأى خالد بن عبد الله القسري حاكم الأمويين على الكوفة أن أمر بيان قد استفحل وأن طائفة اجتمعت عليه ودانوا بمذهبه (٣) ، قبض عليه هو وخمسة عشر رجلاً من أتباعه ، وشدهم في أطنايب القصب وألحب فيهم النار ، وقد أفلت منهم بيان ، ثم التفت فرأى أصحابه يحترقون ، فكر راجعاً إلى أن ألقى نفسه في النار (٤) . وبعد مقتله ادعى أتباعه ألوهيته .

آراء بيان بن سميان :

اتخذ بيان بن سميان - كما قلت - التفسير الباطني للقرآن أساساً لدعوته ، ففسر « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » بأنه هو البيان ، وقال : أنا البيان وأنا الهدى والموعظة وسرى هذا التفسير فيها بعد على صورة أوسع لدى الباطنية في تفسيرهم للقرآن . ويتأثر به «الباب» مؤسس البائية في العصور الحديثة ويسمى كتابه «باليان» . غير أن أهم فكرة نادى بها بيان هو التشبيه ثم التجسيم ، أما التشبيه فيرى الرازي «كان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض مثل بيان» (٥) بن سميان الذي كان يثبت لله تعالى الأعضاء والجوارح ، ثم شبه الله بإنسان نوراني ذي جسد «إن الله الأزلي رجل من نور ، وهو على صورة إنسان عضواً فعضواً جزءاً فجزءاً وهو يهلك كله إلا وجهه . كل شيء هالك إلا وجهه» (٦) وقرر أن على بن أبي طالب قد حل فيه جزء إلهي واتحد بجسده وهذه فكرة مسيحية ، ثم جعل في على عنصراً يستمولوجياً ، أنه كان يعلم الغيب ويخبر عن الملاحم وصح خبر ما أخبر به ، وأنه كان يحارب الكفار بعلمه الغيبي وله النصرة والظفر . ويذكر قصة خلع على لباب حصن خيبر . ويورد حديثاً لعلي يقول فيه ، والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ولكن بقوة ملكوتية بنور بها مضيتة (٧) .

(١) أبو خلف القمي : كتاب المقالات ص ٣٣ وص ٣٧ التبرجتي : فرق الشيعة ص : ٣

(٢) البغدادي : الفرق ص ١١٥

(٣) الشهرستاني : الملل ٢٤٧

(٤) التبرجتي : فرق الشيعة ص ٣٨

(٥) الرازي : اعتقادات ص ٦٣ ، ٦٤

(٦) الشهرستاني : الملل ح ص ١٤٢ والبنداري الفرق ص ١٤٥

(٧) الملطي : التنبيه ص ١٤٨

ويُفسر بيان بن سمعان القوة المملوكة في نفس على كالمصباح في المشكاة ، والنور الإلهي كالنور في المصباح ، وبهذا يفسر تفسيراً غنوصياً - فكرة نور المشكاة القرآنية المشهورة . ويمضي في التفسير مؤيداً للتجسد . فعلى الذي حل فيه جزء إلهي ، يظهر في بعض الأزمان ، وهو الذي يأتي في ظلال الغمام ، والرعد صوته والبرق تبسمه ، ويؤيد قوله بالآية القرآنية « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام » .

ثم ادعى بيان الحلول أو بمعنى أدق ادعى هذا أتباعه من بعده « وكذلك البيانية زعمت أن روح الله دارت في الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى علي ثم دارت إلى محمد بن الحنفية ، ثم صارت إلى ابنه أبي هاشم ثم حلت بعده في بيان بن سمعان (١) » ، ولعل فكرة التناسخ بعد ذلك أدخلت في عقائد البيانية ، فانتقل إلى بيان الجزء الإلهي بنوع من التناسخ ، ولذلك استحق أن يكون إماماً وخليفة ، وذلك الجزء هو الذي استحق به آدم سجود الملائكة (٢) .

فبيان إذن حلولى يدين بدورة الحلول ، وهي فكرة مسيحية غنوصية ، وهو يفسر بهذه الفكرة الغنوصية قصة سجود الملائكة لآدم وهي القصة القرآنية المشهورة . ثم تكونت الفرقة السمعانية بعد ذلك وقالت بنبوته أو بالوهيته واعتنقت التناسخ (٣) .

وتظهر فكرة الاسم الأعظم على يد بيان ، وكان يزعم أنه يعرفه وأنه يهزم به الجيوش ويدعو به الزهرة فتجيبه (٤) . ويؤكد هذا أيضاً الأشعري « وادعى بيان أنه يدعو الزهرة فتجيبه ، وأنه يفعل بالاسم الأعظم (٥) » . وستأخذ فكرة الاسم الأعظم وأسراره مكاناً كبيراً لدى الصوفية من بعده وبخاصة حين يخلطون التصوف بالكيمياء وهذا واضح لدى سهل بن عبد الله العسكري والحلاج وذو النون المصري وغيرهم . ويذكر البغدادي أنه حين ظفر به خالد بن عبد الله القسري قال له « إن كنت تهزم الجيوش بالاسم الذي تعرفه ، فاهزم به أعوانى عنك » (٦) . وحين قتل بيان بن سمعان عام ١١٩ هـ ، أعلنت السمعانية ألوهيته كما قلت ، وأن الوصية باقية فيه ، وأنه لم يكن له أن يوصى بها إلى عقبه (٧) . وينبغي قبل أن نختتم حديثنا أن نذكر ملاحظة قيمة للدكتور جابر عبد العال عن خطأ نسبة نظرية تجسد الألوهية إلى بيان بن سمعان ، وأن هذه الفكرة نشأت متأخرة لدى الخطائية ، وإحدى فرقها : وهي العميرية - أصحاب عمر بن بيان العجلي . ويرى أن الرواة خلطوا بين بيان بن سمعان وبين عمير

(٥) الأشعري : مقالات - ج ١ ص ٦٠٥

(٦) البغدادي : الفرق . ص ١٤٦

(٧) الأشعري : مقالات - ج ١ ص ٢٣

(١) البغدادي : الفرق ص ١٥٤

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل - ج ٢ ص ٢٤٦

(٣) الملطى : التنبيه ص ٣٠

(٤) البغدادي : الفرق ص ١٥٤

ابن بيان هذا ، وأن عمير بن بيان هو الذى نادى متابعة لشيخه أبى الخطاب الأسدى بالتناسخ والوهية الأئمة ، وقد قتل عمير بن بيان على يد يزيد بن عمر بن هبيرة فى كناسة الكوفة بعد أعوام قليلة من مقتل بيان بن سيمان (١) . فتشابه ظروف الرجلين ومقتلها أدى إلى هذا الخلط بين آراء الرجلين . من المحتمل هذا ، ولكن الدكتور محمد جابر عبد العال يذكر أن من الجائز أن تكون البيانية بعد منشئها قد تأثروا بفرق الخطابية لابعدها ، وهذا ما يهمنى ، فسواء صدرت الآراء عن بيان بن سيمان أو عن أتباعه ، فإنها تكون الإطار العام للفرقة ، ثم إن من الصعوبة أن نبين الفروق الدقيقة بين عقائد هذه الفرق وكلها تتصل بفكرة واحدة : هى قداسة أهل البيت أولاً ومن والا هم ثانياً .

ومن المحتمل أن تكون الأفكار ظهرت بادئ ذى بدء فى دائرتهم ، ثم انتقلت إلى العميرية أو المغيرية أو المنصورية أو الخطابية ، أو أن تكون الآراء قد ظهرت أولاً عند هؤلاء الأنخيرين - ثم انتقلت إلى البيانية . وكل حاكها حول إمامه ومن الثابت أن البيانية أو السيمانية قد عاشت بعد بيان .

الفصل الثاني

غلاة الإماميين

١ - المغيرة بن سعيد البجلي

وعاد الغلو ينسج خيوطه حول أبناء فاطمة عليها السلام على يد المغيرة بن سعيد البجلي أبو عبد الله الكوفي . والمغيرة مولى لبجيلة فهو إذن على الأرجح فارسي الأصل . وقد نشأ في الكوفة في قبيلة بجيلة الغالية ، وقيل إنه كان مولى « لخالد بن عبد الله القسري »^(١) أمير الأمويين على العراق ولكن هذا بعيد ، فالرجل من موالى بجيلة وهم من أحباء بيت الفواطم . وفي هذا الوسط الغالي نشأ وتشرب حب علي وقد سألته الشعبي : ما فعل حب علي . قال : في العظم والعصب والعروق .

وتردد الرجل على الإمام محمد بن علي بن الحسين المعروف بالباقر وكان أول الأمر من خاصة مريديه وأخلص أتباعه . ويقول المغيرة : سألت أبا جعفر كيف أصبحت . . . ؟ قال : أصبحت برسول الله خائفاً ، وأصبح الناصر كلهم برسول الله آمين . ثم بدأت مرحلة الغلو والابتعاد عن الباقر شيئاً فشيئاً . يقول الأعمش « أول من سمعته ينتفض أبا بكر وعمر - المغيرة المصلوب » فكانه أول من امتن البراءة من الشيخين ، وأعلن لعنهما ، وأخذ يفسر الآيات على طريقة الغنوصيين الباطنية ، فذكر أيضاً أن الآيات كناية عن رجال : فالآية : إن الله يأمر بالعدل والإحسان « أي فاطمة » وإيتاء ذي القربى : « الحسن والحسين » وينهى عن « الفحشاء » « أبي بكر » والمنكر « عمر » وسنجد تأويل هذه الآية بهذه الصورة نفسها لدى غلاة الإمامية ، بل إننا نجد أيضاً لدى الإمامية المعتدلة ما يشبه هذا التفسير . ثم أخذ يغلو في علي أشد غلو فقال : كان علي يجي الموتى . ومثل عن هذا فقال : لو شاء أحيا عادا وثمود وقرونا من ذلك كثيراً وكذلك زعم أن علياً رد البصر حين مسح على عين أعشى^(٢) فلم ينسب إذن المغيرة لنفسه إحياء الموتى ، كما ذكر بعض المؤرخين بل نسبها للإمام علي ، وسرى أنه ينكر قدرته هو على إحياء الموتى أمام خالد بن عبد الله القسري^(٣) . إنما تضخمت الأسطورة في هذا

(١) الجاهظ : الحيوان ج ٢ ص ٢٦١ وكذلك الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٩٥ .

(٢) لسان الميزان ج ٦ ص ٧٥ - ٧٨ ابن قتيبة عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٩ .

(٣) ابن الأثير الكامل ج ٥ ص ٦٧ .

الوقت حول على ، وعمل الرواة من الشيعة على نشر فضائله وأعماله الخارقة .
 وكان يدعى العلم الغيبي وقد سأله الأعمش عن هذا فقال : أتيت بعض أهل البيت فسقاني شربة
 من ماء فما بقي شيء إلا علمته ^(١) ويذكر ابن الأثير أن المغيرة ذهب إلى محمد الباقر وقال له : أقرر
 أنك تعلم الغيب حتى أجي لك العراق . فنهز وطرده ، وجاء ابنه بعد ذلك إلى جعفر الصادق فقال
 له مثل ذلك فقال : أعوذ بالله ^(٢) .

ويقال إنه ادعى بعد خلافه مع جعفر الصادق أن الإمام بعد محمد بن علي بن الحسين هو محمد بن
 عبد الله بن الحسن الخارج بالمدينة ، ولما قتل عام ١٤٥ زعم أنه حي لم يم ^(٣) وهذا خطأ فقد قتل
 المغيرة قبل مقتل محمد بن عبد الله بن الحسن ولكن يدوان أتباعه فعلوا هذا من بعده . ثم يقال : إنه
 ادعى الإمامة لنفسه بعد الإمام محمد الباقر ثم ادعى النبوة ^(٤) وأنه قتل على ادعائها ^(٥) ويذكر
 المؤرخون أنه تعلم السحر وكان ساحراً ^(٦) . وقال الأعمش : وكان المغيرة يخرج إلى المغيرة فيتكلم فيرى
 مثل الجراد على القبور ^(٧) . ويقول ابن قتيبة : وكان سبأياً وصاحب نيرنجات ^(٨) . وأنه تعلم السحر
 من يهودية تعيش بالكوفة . وكان اليهود أصحاب سحر ونيرنجات .

وأُسعر المغيرة النيران بالكوفة - كما يقول ابن حجر - بالتقوية والشعبذة . وخرج في سبعة نفر -
 وكانوا يدعون بالوصفاء ^(٩) وأجابه خلق كثير . وكان خالد يخطب على منبر الكوفة حين بلغه خروج
 المغيرة وصحبه فارتاع وهو يخطب ، وصاح : أطعموني ماء ، فعيره يحيى بن نوفل وقال :

وقلت لما أصابك أطعموني شرباً ثم بليت على السرير
 لأعلاج ثمانيسة وشيخ كبير السن ذى بصر ضرير ^(١٠)

والأعلاج الثمانية هم الوصفاء السبعة والمغيرة ، وقد كان المغيرة أعمى البصر ، وقد قبض عليهم
 خالد بن عبد الله القسري - وقتل أحدهم - ثم طلب من المغيرة أن يبيحه ، فقال والله ما أحيى الموتى .
 ثم استتابه خالد فأبى ، بل على العكس دعاه إلى الإيمان به ، فأحرقه خالد بن عبد الله عام ١١٩ .
 وينسب بعض المؤرخين - كالنوبختي ^(١١) - مصطلح الرفض إلى المغيرة بن سعيد . وذلك لقوله
 بمهذبة محمد بن عبد الله بن الحسن وأنه القائم وأنه حي لم يم . يقول النوبختي « وأظهر المغيرة بن

(٧) الطبري : ج ٣ من ١٤٩

(٨) ابن قتيبة . عيون الأخبار ج ٢ من ١٤٩

(٩) الطبري : تاريخ ج ٢ من ١٦٤

(١٠) ابن الأثير : الكامل ج ٥ من ٦٧

(١١) النوبختي . فرق الشيعة من ٦٣

(١) ابن حجر : لسان الميزان ج ٦ - ص ٧٥ - ٧٨

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٦٧

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢ ص ٢٥ - ٢٨

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢ ص ٢٩٥

(٥) ابن حجر : لسان الميزان ج ٦ من ٧٥ - ٧٨

(٦) نفس المصدر ونفس الصحائف

سعيد المقالة بذلك ، فبرئت منه الشيعة - أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد - ورفضوه فزعم أنهم رافضة وأنه هو الذى سباهم بهذا الاسم (١). وهذا خطأ لتقدم مقتل المغيرة على مقتل كل من محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن . لكن من الثابت أن المغيرة بقيت بعد مقتل مؤسسها ، ويبدو أنها هى التى رفعت إلى مقام النبوة بعد وفاته ، وأنها هى التى قالت بمهدية محمد بن عبد الله ، وأنها احتضنت فكرة التناسخ .

آراء المغيرة :

ادعاء النبوة : ذهب كثيرون من مؤرخي العقائد إلى أن المغيرة ادعى النبوة ، ودعواه علمه بالاسم الأعظم وأنه يحى الموتى به ويهزم الجيوش (٢) والعقيدة كما رأينا بدأت لدى بيان ، ولكنها غير واضحة لدى المغيرة ، بل يبدو أنه لم ينسب النبوة حتى لعلى بن أبي طالب . إنه غلا فى حق على عليه السلام غلوا لا يعتقده عاقل ، كما يقول الشهرستاني ، ولكن تراق الأمر به إلى زعمه أنه رسول نبي وأن جبريل يأتيه بالوحي (٣) - فلا يثبت النقد الداخلى للنصوص . وقد سأله الأعمش عن فضائل على فقال : إنك لا تحتملها . قلت : بلى . فذكر آدم صلوات الله عليه - فقال : على خير منه ، ثم ذكر من دونه من الأنبياء . فقال : على خير منهم . حتى انتهى إلى محمد ﷺ فقال : على مثله . فقلت : كذبت عليك لعنة الله : قال قد أعلمتك أنك لا تحتملها .

التجسيم : إن الله تعالى عنده جسم هو «صورة رجل من نور ، وعلى رأسه تاج من نور وله أعضاء وجوف وقلب ينبع منه الحكمة . وأن أعضائه على صور حروف الهجاء ، وأن الألف منها مثال قدميه أو موضع قدميه لا عوجاجها ، والعين على صورة عينه ، وشبه الماء بالعمرة قائلاً : لو رأيت موضعها منه لرأيتم أمراً عظيماً . وهذا أثر واضح للكيال اليهودية . وأعلن المغيرة أنه رأى الله .

وتكلم المغيرة عن بدء الخلق . فقال إن الله كان وحده لا شئ معه ، فلما أراد أن يخلق العالم ، نطق بالاسم الأعظم ، فطار ذلك الاسم فوق رأسه ، ووقع تاجاً عليها وذلك قوله «سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى» وزعم أن الاسم الأعلى إنما هو ذلك التاج ، ثم إنه بعد وقوع التاج على رأسه ، كتب بإصبعه على كفه أعمال عباده من المعاصى والطاعات ثم نظر فيها ، فغضب من معاصيهم ففرق ، فاجتمع من عرقه بحران أحدهما مظلم مالح ، والآخر عذب نير ، فاطلع فى البحر النير ، فأبصر ظله ،

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٩٥

(٢) الشهرستاني . الملل والنحل ج ١ ص ٢٩٥

(٣) التوحيات فوق الشيعة ص ٦٣

فانتزع عيني ظله ، فخلق منها الشمس والقمر ، وأبقى باقى ظله ، وقال . لا ينبغي أن يكون معى إله غيرى ، ثم خلق الخلق كله من البحرين ، فخلق المؤمنين (الشيعة) من البحر النير العذب ، والكفرة (وهم أعداء الشيعة) من البحر المظلم المالح ، وأن الله خلق الناس قبل أجسادهم ، فكان أول ما خلق فيها ظل محمد ، وذلك قوله « قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين » ثم أرسل ظل محمد إلى أظلال الناس ، ثم عرض على السموات والجبال أن يمتنع على بن أبى طالب من ظلمه ، فأين ذلك ، فعرض ذلك على الناس ، فأمر عمر بن الخطاب أباً بكر أن يحتمل ظلم على وضمن له أن يعينه على الغدر به على شرط أن يجعل له الخلافة من بعده ، ففعل أبو بكر ذلك . فذلك تأويل قوله « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً » والظلم الجهول فى تفسيره هو أبوبكر ، وتأويل فى عمر قول الله تعالى « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر قال : إني برىء منك » والشيطان عنده عمر^(١) .

هذه هى آراء المغيرة ، يكاد المؤرخون أن يذكروها فى صورة متشابهة . وساقها : غلو فى حب على بن أبى طالب عليه السلام . ثم تصوير أسطورى له ، اتخذ الغنوصية مادة لآرائه وبالأخص المانوية والماندائية : فترى النور والظلمة واضحتين فى تفسيره للأعمال الإنسانية ، وردها إلى هذين المصدرين الثنوين . ثم يكاد يكون المغيرة بن سعيد أول من أثار النزاع حول الحديث المشهور « كان الله ولا شىء معه » فيستخدمه فى بدء الخلق ، ثم يصور البدء هذا التصوير الماندائى المشهور . ويمزجه باليهودية القبالية « ويفسر حقيقة على تفسيراً مسيحياً ، فعلى هو المسيح الثانى . ويضع أصول « الحقيقة المحمدية » أو كلمة التكوين أو الإنسان الأول . وهى ذات آثار بعيدة فى التصوف الإسلامى فيما بعد . ونجد فكرة الاسم الأعظم عنده . وقد آمن كثيرون من صوفية الإسلام بعد ذلك بفكرة « الاسم الأعظم » ونسب إلى الخضر معلم موسى الكبير .

فعل المغيرة كل هذا فى ضوء تأويل قرآنى ، فاتحاً هذا الباب الكبير ، فاتحاً له بشدة وعمق . متخذاً حروفية الفيناغورية الجديدة - مختلطة أيضاً بالغنوصية - أداة له . ثم نراه يرمز للرسول ولعلى ولأبى بكر ولعمر بآيات قرآنية - وبهذا فتح الطريق للحروفيين ، كما صور الله على صورة حروف الهجاء ويستتبع الصوفية هذا فيما بعد ، فالألف ، والباء ، والهاء لها معان خاصة ومصطلح معين عندهم . ثم فتح الطريق أيضاً للعديدين ، فاعتبر حواريه سبعة وهو ثامنهم . ويبدو أن المغيرة لم يكن رجلاً إباحة . فلم يبطل المحرمات ، بل كان أقرب إلى الزهد ، وهو يختلف فى هذا عن بيان معاصره ، وعن أبى منصور

(١) الأثرى . مقالات الإسلاميين ج ٧ ، ٨ ، والبغدادى : الفرق ص ١٤٦ ، والشهرستانى الملل والنحل ج ١ ص

كانت منتشرة في المدينة وينسب إلى المغيرة أيضاً القول بالتناسخ (١) وهذا ما لم يقل به المغيرة في حياته .

ودخل أتباع المغيرة بعد ذلك في عداد الخناقين من أصحاب أبي منصور العجلي وشاركوا في قتل مخالفهم بالحق ، وستكلم عن هذا فيما بعد . وذكرهم أعشى همدان في قصيدته :
إذا سرت في عجل فسر في صحابة وكندة فاحذرهما حذارك للخسف
وفي شيعة الأعمى خناق وغيلة وقشب وإعمال الجندلة القذف (٢)

والأعمى المشار إليه في البيت هو المغيرة بن سعيد . وسنورد الآيات نفسها ونقوم بشرحها حين نتكلم عن المنصورية والخناقين . ولكن ما يهمنا الآن أن أتباع المغيرة استمروا في نشاطهم زمناً طويلاً ، يشرون فكرة الحق التي نادى بها أبو منصور العجلي ويتبنونها ، نكاية في أعدائهم ، وانتقاماً لإمامهم المقتول .

٢ - أبو منصور العجلي (المقتول عام ١٢١هـ)

ينتمي أبو منصور العجلي إلى قبيلة عجلة أيضاً . وهو ليس بمولى ، بل هو عربي . نشأ في حضنة الميلاء صاحبة ليلي الناعطية . وغذته بالتشيع والغلو . وليس لدينا ما يؤكد صلته ببيان ، ولكن من المرجح أنه اتصل بالمغيرة بن سعيد . غير أنه لا يذكر بين « الوصفاء السبعة » الذين خرجوا مع المغيرة ، وقتلهم خالد بن عبد الله القسري . فلم يكن إذن أحد الحوارين المقرين للمغيرة . وكان هو أيضاً من المقرين للإمام محمد بن علي الباقر . فهو إذن من غلاة الشيعة الإمامية المنتسبين إلى الفواطم . ولا شك أنه تأثر بالمغيرة ، ويذكر الرازي أن أتباع أبي منصور العجلي كانوا على مقالة المغيرة . وزادوا عليهم بأن أباحوا الزنا واللواط (٣) أما النوبختي فيقول « إن أبا منصور هذا من أهل الكوفة من عبد القيس وله فيها دار وكان منشؤه بالبادية ، وكان أمياً لا يقرأ » (٤) ونحن لا نقر القول بأميته ، فقد نشأ في بيت الميلاء ، وهي امرأة شيعية من تلامذة ليلي الناعطية ، علاوة على أن التفسيرات المتعددة التي قدمها لنا أبو منصور العجلي تدل على سعة اطلاعه بالتراث الإسلامي وبالتراث الفلسفي غوصياً كان أو مسيحياً أو يهودياً . ثم إنه كان يتقن اللغة الفارسية .

(١) النوبختي . الشيعة ص ٦٣

(٢) المحافظ : الحيوان ح ٢ ص ١٦٦ وح ٦ ص ٣٨٩

(٣) الرازي : اعتقادات . ص ٨٥

(٤) النوبختي : فرق الشيعة من ٣٨

اتصل أبو منصور بالإمام الباقر ، ولكن يبدو أنه اختلف مع الإمام جعفر الصادق بعد وفاة الباقر .
وتذكر المصادر الشيعية أن الإمام جعفر قد لعنه ثلاثاً (١) . وأداه اختلافه مع الإمام جعفر الصادق إلى إعلان إمامته هو .

يرى أبو منصور العجلي أن آل محمد هم السماء ، والشيعه هم الأرض . وأنه هو الصلة بين الاثنين .
مرج به إلى السماء فسح الله على رأسه ، وقال له بالسريانية أى بنى - أنزل فبلغ عنى ، ثم أنزله الله على الأرض ، وهو الكسف الساقط من السماء « وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مكروم »
وهو الكلمة . ويمن أصحابه إذا حلفوا - ألا والكلمة . وهذا يدل على تأثير المسيحية فيه ، وما يؤيد هذا أنه قال : إن عيسى أول من خلق الله من خلقه ثم على .

وأعلن أبو منصور أن النبوة لا تنقطع أبداً بل هي متجددة دائماً . وأن على بن أبى طالب كان نبياً ورسولاً ، وكذا الحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمد بن على وأنه هو أيضاً نبي ورسول ثم « النبوة في ستة من ولدى يكونون بعدى أنبياء آخرهم القائم » .

وذكر أبو منصور العجلي أن الوحي يأتيه ، وأن الله بعث محمداً بالترزيل وبعثه بالتأويل . وبدأ يتأول التصورات الدينية في القرآن فالجنة « رجل أمرنا بموالاته وهو إمام الوقت وأن النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصم الإمام ، وتأول المحرمات كلها على أسماء رجال أمرنا الله تعالى بمعاداتهم وتأول الفرائض كلها على أسماء رجال أمرنا الله تعالى بموالاتهم . ويرى الشهرستاني « إنما مقصودهم هو حمل الفرائض والمحرمات على أسماء رجال . وإن ظفر بذلك الرجل وعرفه ؛ فقد سقط عنه التكليف . إذ وصل إلى الجنة وبلغ إلى الكمال » (٢) .

ويذكر الأشعري أنه استحل النساء والمحارم ، وأحل ذلك لأصحابه . وزعم أن الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والميسر - وغيرها - من المحارم والآثام حلال ولم يحرمها الله ، وإنما هذه الأشياء أسماء رجال ، حرم الله ولايتهم ، وتأول في ذلك قوله تعالى « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » .

وأخيراً - أعلن أبو منصور العجلي الجهاد الحق . وهو خنق واعتيال من يخالفه في مذهبه ، يقول .
« من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فإن هذا جهاد خنق » وقد أخذت حركة الخنق مظهراً عنيفاً كما سنين فيما بعد .

(١) النوبختي : فرق الشيعة ص ٨ وانظر الكشي ص ١٩٦ .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٩٩ والأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٩ / ١٠ والبغدادي : الفرق بين

الفرق ص ١٤٩ والنوبختي : فرق الشيعة ص ٣٨ والأسفراييني التبصير ص ٧٣ وابن تيمية منهاج السنة : ج ١ ص ٣٣٨ / ٢٣٩ .

وبعد : فقد كانت لآراء أبي منصور العجلي أكبر الأثر في المجتمع الكوفي في زمنه ثم في المجتمع الشيعي عامة . لقد أعلن فتح باب الوحي وعدم انقطاعه بعد محمد ﷺ ، فالوحي متجدد دائماً ، والنبوة مستمرة غير منقطعة ، ومهد السبيل بفكرته هذه لغلاة الإسماعيلية من بعده ، ثم البهائية في العصور الحديثة . فأعلنوا أن الوحي لا ينقطع أبداً وهذه فكرة غنوصية ترى أنه لا يتعلق باب الغنوص أبداً .

وفتح أبو منصور العجلي باب التأويل ؛ وقد ولج منه الإسماعيلية والقرامطة فيما بعد . وقد نسخ الشريعة الإسلامية بتأويل ، وأقام المجتمع المتحرر المتجرد من كل الشرائع . وقد تابعه الإسماعيليون أيضاً ، ونادى بقدوم الكلمة ، وبأولية عيسى بن مريم في الخلق ، وهذا تفكير متأثر بالغنوصية المسيحية . ثم إنه أيضاً كان عددياً » .

وكما لاحظ الدكتور كامل الشيبى أن عدد أنبيائه هو اثنا عشر . وبهذا أثر في المذهب الإمامي الاثنى عشرى الذى حدد عدد الأئمة باثنى عشر . والاهتمام بالعدد هو أثر للفيثاغورية الحديثة . وضع أبو منصور فكرة المراج الروحي ، وسأخذه الصوفية وبصبح جزءاً من طقوسهم . وأخيراً - نادى أبو منصور العجلي بنفسه مسيحاً ثانياً ، فقد عرج به إلى السماء ومسح الله على رأسه ، ولعل هذه الفكرة هى التى أوحى إليه بأن المسيح هو أول خلق الله . وأخيراً - كانت دعوته إلى خنق مخالفيه مؤدية إلى أفطع النتائج فقد تكونت فرقة الخناقين من أتباعه ومن أتباع المغيرة - كما سترى فيما بعد . وحين ظفر به يوسف بن عمر الثقفى وإلى الكوفة من لدن هشام بن عبد الملك قتله ، وقتل من أصحابه عدداً كبيراً . وانقسم أصحابه إلى فريقين : الحسينية : وقد نقلوا الوصاية إلى ابنه الحسين بن أبى منصور العجلي ، واعتبروه الإمام بعده (١) ، وقد قام الحسين بن أبى منصور بقيادة الخناقين قيادة عنيفة ناشراً الذعر في العالم الإسلامى ، وأعلن هو أيضاً نبوته واستجاب له بشر كثير . حتى تمكن منه عمر الخناق أحد رجال الخليفة المهدي ، وأرسله للخليفة المهدي ، وقد استتابه المهدي فأبى ، بل أقر بعقيدته وبمهديته ، فعذبه المهدي وصلبه ، بعد أن استولى على أمواله الكثيرة . ثم تبع الكثيرين من أتباعه ، فقتلهم (٢) . أما الفرقة الثانية - من أتباع أبى منصور العجلي ؛ فيقال لها المحمدية ، فقد مالت إلى تثبيت إمامة محمد بن عبد الله بن الحسن وقالوا : إنما أوصى أبو جعفر إلى أبى منصور دون بنى هاشم . كما أوصى موسى إلى يوشع بن نون دون ولده - ودون ولد هارون . ثم الإمامة بعد أبى منصور

(١) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٤

(٢) التوحيدي : فرق الشيعة ص ٣٨ ، ٣٩

راجعة إلى ولد علي مرة أخرى ، كما رجع الأمر بعد يوشع بن نون إلى ولد هارون . وقالوا : وإنما أوصى موسى إلى يوشع بن نون دون ولده ودون ولد هارون لثلاث يكون بين البطنين اختلاف فيكون يوشع هو الذي يدل على صاحب الأمر . فكذلك أبو جعفر أوصى إلى أبي منصور . ونقلوا عن أبي منصور أنه قال : إنما أنا مستودع ، وليس لي أن أضعها في غيري . ولكن القائم هو محمد بن عبد الله ^(١) ، ونحن نتساءل هل ظهر حقاً مصطلح الإمام المستودع في عهده ؛ هذا الاصطلاح الذي سيأخذ مكانه لدى الشيعة الإسماعيلية ، وهل ظهر كذلك مصطلح « القائم » وهو مصطلح أيضاً يظهر لدى الإسماعيلية . ويبدو أن دعواه التي نادى فيها بالوكالة دعت إلى قيام فرقة مشهورة هي الكاملية نسبة إلى أبي كميل الشيعي تجادله جدالاً عنيفاً . إن الكبلية لا تميز الوكالة في الإمامة وتقول بأنه لا بد من إمام صامت وناطق ولا بد من علم يمد الناس أعناقهم إليه .

وقد أنكر أبو منصور هذا . وقد ذكر هذا النزاع أبو السري معدان الشميطي - فيقول :

إن ذا الكسف ضد آل كميل وكميل رذل من الأرذال
تركنا بالعراق داء دوايا ضل منه تلطف المحتال
منهم جاعل العيب إماما وفريق يرضى زند الشمال
وفريق يقول إنا براء من علي وجند بلال
وبراء من الذي سلم الأمر على قدرة بغير قتال
وفريق يدين بالنص حتماً وفريق يدين بالإهمال ^(٢)

وقد أدت دعوة أبي منصور العجلى إلى خنق مخالفيه ، إلى قيام أتباعه الكثيرين بهذه الحركة على نطاق واسع ، وخلقت ذعراً كبيراً في العالم الإسلامي وبخاصة في العراق وفارس وبابدية الشام . واشتهرت قبائل بجيلة وعجل وكندة بهذا الأمر ويقول سفيان بن عيينة :

إذا ————— انرك العيش فلا تمرر علي كنفه
وكان أكثر الخناقين من المنصورية بالكوفة ، وقد اشتهر فيها رجل من بني كندة بالحنق هو أبو قطنة أو قطبة الخناق من المنصورية ، وكانت داره بالكوفة ، وكان يدعى أنه مولى لهم وقد كان أحد شخصيات الفرقة المنصورية المشهورين بالحنق ، وقد قتل أبو قطنة وصلب ، وقد شبه باليربوع - ويقول الشاعر :

(١) الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢٥

(٢) الجاحظ : الحيران ج ٢ ص ٢٦٩

انزل أبا عمرو على حد قرية ترغ إلى سهل كثير الخلاق
 ونخذ نفق اليربوع واسلك سبيله ودعنى إني ناطق وابن ناطق
 وكن كائى قطن على كل زائغ له منزل فى ضيق العرض شاهق (١)
 وانتقلت الخناقية أيضاً إلى المدينة . ويقول الجاحظ «ومن كان يفتق الناس بالمدينة عدية المدينة
 الصفراء» (٢) ، وفى نص آخر «وكان بالكوفة ممن يأكل لحوم الناس عدية المدينة الصفراء»
 «وانتشرت الحركة فى البصرة يترعها قصاب غالى ورادويه (٣)» .
 وقد ذكر أعشى همدان فى شعر نقله البنا حماد الراوية المرمين بالحق من القبائل وأصحاب النحل
 والتأويلات ، وكيف يصنع الخنادق . ويقول :

إذا سرت فى عجل فسر فى صحابة وكندة فاحذرهما حذارك للخسف
 وفى شعبة الأعمى زيار وغيلة وقشب وإعمال لجندلة القذف
 وكلهم شر على أن رأسهم حميدة والميلاء حاضنة الكسف
 متى كنت فى حى بجيلة فاستمع فإن لهم قصفاً بدل على حتف
 إذا اعترموا يوماً على خنق زائر تداعوا عليه بالنباح وبالعرزف (٤)

ونلاحظ هنا أنه حدد القبائل التى تقوم بالحق وهى بنو عجل وبنو بجيلة وكندة - وهى القبائل التى
 اشتهرت بالقلو ، وحدد الغالية من هؤلاء - وهم أتباع الكسف أبى منصور العجل والأعمى «المغيرة بن
 سعيد البجلي» وأضاف إلى قائمة الخناقين امرأتين - هما حميدة والميلاء . وأما عملية القتل نفسها : فقد
 حددها بالسم والحق ورضخ رؤوس الناس بالحجارة .

وقد ذكر أبو معدان الأعمى الشميطة طرق الخناقين فقال :

خشى وكافر ميانى حرى وناسخ قتال
 تلك تيمية وهاتيك صمت ثم دين المغيرة المقتال
 خنق مرة وشم بخار ثم رضخ بالجندل المتوالى (٥)

(١) الجاحظ : الحيوان ج ٦ ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ وابن قتيبة ، عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٧ .

(٢) الجاحظ : الحيوان ج ٦ ص ٣٨٨ .

(٣) الجاحظ : الحيوان ج ٢ ص ٢٦٧ ، ٦٣٧ / ج ٦ ص ٣٨٨ .

(٤) الجاحظ : الحيوان ج ٦ ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ج ٢ ص ٢٦١ .

وابن قتيبة : عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٦ . وقد شرح الأستاذ عبد السلام هارون كلمات الشعر . فلقشب : خلط السم بالطعام
 وزيار الحق وإعمال لجندلة القذف : أى رضخ رؤوس الناس بالحجارة .

(٥) الجاحظ : الحيوان ج ٢ ص ٢٧٠ .

خشى أى أنهم كان يقتلون بالحشب - وقد عرف ابن حزم الحشبية بأنهم فرقة من المنصورية تقتل بالحشب فقط . ثم هم عنده سبابة ينسخون الدين ويقتلون . أما معنى تيمية - أى أنهم كانوا يقتلون من يتولى التيمية - أى أبا بكر - فيقتلون مدعين أنه تيمى ويقتلون الآخر لأنه صامت لا يدل برأيه . ثم إنهم أيضاً مغيرية ، وهذا يدل على أن المغيرية قد انطوت تحت لواء المنصورية . ثم يذكر طرق القتل - وهى إما بالخنق وبالتشميم « أى يستخدمون البنج » ، وقد كان البنج معروفاً لدى الأطباء فى هذا العصر ، ثم الرمي بالحجارة . ويقول الجاحظ « إن من الخناقين من يكون جامعاً » إذ أجمع الخنق والتشميم ، وحمل معه فى سفره حجرتين مستديرين مملكين وململين فإذا خلا برجل من الرفقة - أى من المسافرين معه - استديره « أى تأخر خلفه » ثم رمى قهقريته بأحد الحجرتين . والقمحدوة : ما فوق القفا وأعلى خلف الأذنين ، وإصابة هذا المكان قاتلة ، وكذلك إذا كان ساجداً . فإن قتله لأول مرة سلبه ، وإن رفع رأسه طبق بالآخر وجهه ، وكذلك إن ألفاه نائماً أو غافلاً (١) . وكان الخناق لا يسرون إلا معاً ، ولا يقيمون فى مكان إلا مجتمعين ، وإذا عزم أهل دار منهم على خنق زائر ممن ليس على مذهبهم ، كانت العلامة بينهم الضرب على دف أو طبل على ما يكون فى دور الناس ، وعندهم كلاب مرتبطة ، فإذا تجاوبوا بالعزف ، لإخفاء صراخ المخنوق ، ضربوا تلك الكلاب فنبحت - يقول الجاحظ « إن الخناقين يظاهر بعضهم بعضاً ، فلا يكونون فى البلاد إلا معاً ، ولا يسافرون إلا معاً » ، فربما استولوا على درب بأسره أو على طريق بأسره . ولا يتزلون إلا فى طريق نافذ ، ويكون خلف دورهم إما صحارى وإما بساتين ، وإما مزابل وأشياء ذلك . وفى كل دار كلاب مربوطة ، ودفوف وطبول ، ولا يزالون يعملون على أبوابهم معلم كتاب منهم ، فإذا خنق أهل دار منهم إنساناً ، ضرب النساء بالدفوف ، وضرب بعضهم الكلاب . فسمع المعلم فصاح بالصبيان : انبجوا ، وأجابهم أهل كل دار بالدفوف والصنوج - كما يفعل نساء أهل القرى - وهيجوا الكلاب فلوكان المخنوق حياً ، لما شعر بمكانه أحد » ويذكر لنا الجاحظ - قصصاً مربعة عن محاولة قتلهم لأحد الخمالين فى الرقة وكيف اكتشف الأمر وقتلوا عن آخرهم . وكذلك فى الرى . وغيرهما من بلاد (٢) .

كانت حياة المنصورية حياة مجتمع مغلق سرى بشع ، منظم تنظيمًا دقيقاً ، وله تقاليده وقواعده ، ويبدو أن المجتمع المنصورى نساء وأطفالاً ورجالاً آمنوا بعقيدة أبى منصور ثم ابنه الحسين بعده ، وكانت غايتهم الكبرى من القتل والاعتقال جمع الخراج للإمام . ولا تعجب بعد ، إذ قام يوسف بن عمر الثقفى أولاً بتتبعهم وقتل أبى منصور ثم قيام المهدي بنفس الأمر ، ونرى أيضاً

(١) الحيوان : الجاحظ ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٢) الجاحظ : الحيوان ج ٢ ص ٢٦٥ وج ٦ ص ٣٩٠ .

استخلاصه لأموال كثيرة من الحسين بن منصور ، وهى أموال حصل عليها من أتباعه خلال الاغتيال والقتل الذريع وتهديد المسافرين الآمن ممن لم يدخل فى غوصيتهم الحاقدة ، لقد انقلبوا على المجتمع الإسلامى كوحوش كاسرة يعيشون فى الأرض فساداً ، ولا عجب بعد ذلك أن يدعوهم الشهرستانى بأنهم « صنف من الخزمية » أى أتباع بابك الخرمى الذى ظهر فيما بعد يقاتل المسلمين أعنف قتال ، حتى قتل ، ومن المحتمل أن يكون المنصورية - بعد قتل أبى منصور - قد لجأوا إلى الخزمية بحاربون معها المسلمين من السنة ، كما أن المنصورية كانت أيضاً فى كثير من عقائدها ومائلها باكورة وسلفا للحشاشين فيما بعد . .

الفصل الثالث

غلاة الجعفرين

عاش آل جعفر بن أبي طالب في رحاب النبوة أولاً ، ثم في شيعة علي ثانياً ، وشيعة الحسن والحسين مخلصين لآل البيت ، وقد قتل جعفر بن أبي طالب شهيداً يوم موته وبكاه النبي أشد البكاء ، وقتل ابنه محمد بن جعفر بن أبي طالب تحت راية علي في صفين . وفي كربلاء استشهد مع الحسين ثلاثة من أبناء عبد الله بن جعفر هم عون ومحمد وعبيد الله . فأسرة جعفر إذن قدمت للمذهب الشيعي بعض أبنائها ، وسفك دماء بعضهم على المسرح الشيعي . ولكن لم يعلن واحد من آل جعفر أحقيته في الإمامة . حتى أعلن جعفرى منهم هو عبيد الله بن معاوية بن عبيد الله بن جعفر أنه تلقى الوصية من أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ، وأن الإمامة انتقلت إليه هو ... والأخبار التي وردتنا عن عبد الله بن جعفر متناقضة . هل كان الرجل حقيقة من الغلاة ، أم كان رجلاً من بني هاشم ، ذا قوة وكفاءة ، فقام محاولاً أن يعيد الأمر إلى أصحابه ، وبخاصة أن دعوته كانت للرضا من آل محمد . ؟ هل هو صورة من المختار بن أبي عبيد ، قام مثله بحركة عنيفة لإعادة الأمر إلى أصحابه ، واستخدم الغلاة ، كما استخدم المعتدلين ، ولكنه لم ينجح . ثم أسلمته الحركة العباسية إلى الأمويين ، خوفاً من قوة الرجل وسطوته وذكائه ، ونفوذه . ؟ وقد دعا كل هذا « الباحث العراقي الممتاز الدكتور كامل الشبي » إلى بحث تركيبى لحياة الرجل وآرائه ، وألقى عليه ضوءاً جديداً . وسيظهر البحث قريباً . وإلى أن يظهر هذا البحث ، سنعالج حياة الرجل وحركته وآراءه طبقاً للنصوص التقليدية التي بين أيدينا : يبدو أنه نشأ في المدينة ويذكر الأصفهاني « أنه كان جواداً فارساً شاعراً ، ولكن كان مسمى السيرة ردىء المذهب ، قتالاً مستظهِراً ببطانة السوء ومن يرمى بالزندقة ^(١) بل إن الأصفهاني ود ألا يورخ له . والظاهر أن عبد الله بن معاوية نشأ في المدينة مترفاً خلى الببال وأنه عاش في وسط كان يموج بالغلو فلم يخالط سوى الغلاة أو أنه حاول استخدام كل الحاقدين على الحكم الأموي . يقول الأصفهاني « كان عمار بن حمزة يرمى بالزندقة ، فاستكتبه عبد الله بن معاوية ، وكان له نديم يعرف بمطيع بن إلياس وكان زنديقاً . . . وكان له نديم يعرف بالبقلي ، وإنما سمي كذلك لأنه كان يقول الإنسان مثل البقلة ، فإذا

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ١١٨ .

مات لم يرجع ، وإذا ذكرنا من قبل أن حمزة بن عمار البربري كان كريباً ، ثم غلا وهو أحد السبعة الذين لعنهم الصادق . عاش إذن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر في وسط الزنادقة والإباحين . ويقول الأصماني « كان هؤلاء الثلاثة خاصته وكان له صاحب شرطة يقال له قيس وكان دهرياً لا يؤمن بالله ^(١) » وقد دفعه هؤلاء إلى ابتداء فكرة انتقال الوصاية إليه من أبي هاشم ، وقد مات أبو هاشم وعبد الله بن معاوية غلام صغير . فادعى أصحابه أن أبا هاشم دفع الوصية إلى صالح بن مدرك وأمره أن يحفظها حتى يبلغ عبد الله بن معاوية فيدفعها إليه ، فهو الإمام وهو العالم بكل شيء ^(٢) . وقد عرف عبد الله بن معاوية بالفصاحة وبالقسوة هذا مع ادعائه بأن الوحي ينزل عليه « إن ابن معاوية كان يغضب على الرجل فيأمر بضربه بالسياط ، وهو يتحدث ويتعافل عنه حتى يموت بالسياط ، وأنه فعل ذلك برجل فجعل يستغيث ، فلا يلتفت إليه فتاداه : يا زنديق أنت الذي يزعم أنه يوحى إليك » .

وقد رأينا من قبل اتهام المختار بن أبي عبيد بادعاء الوحي ، وبيننا تهافت هذا الاتهام ، فهل كان اتهام عبد الله بن معاوية من هذا القبيل أيضاً .

وقد كان عبد الله بن معاوية كالمختار أيضاً ذا أطماع عنيفة ، ولكنه انتظر الفرصة السانحة ، كما فعل المختار بن أبي عبيد حين كانت الدولة السفليانية تلفظ أنفاسها الأخيرة . أما في أيام عبد الله بن معاوية فقد كانت الدولة الأموية تتخبط تخبطها الأخير ، فلما بويج يزيد بن الوليد المعروف بيزيد الناقص ، تحرك عبد الله بن معاوية بالكوفة . ودعا الناس إلى بيعته « على الرضا من آل محمد » إذن إن الرجل لم يدع هو إلى بيعته ، بل كان يقوم بنفس الأمر الذي كان يقوم به العباسيون . كانوا يدعون إلى « الرضا من آل محمد » وتذكر المصادر أن عبد الله حاول خديعة أهل الكوفة « فلبس الصوف وأظهر سباء الخبير » . ولكن أهل الكوفة هم شيعة أبناء علي من الفواطم ، فرفضه جمهورهم الأكبر وتعللوا له بأن « ما بينا بقية ، فقد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت وأشاروا إليه بالانتقال إلى فارس ونواحي المشرق » ويقال إن قتالاً حدث بينه وبين عبد الله بن عمر وإلى الكوفة الأموي ، وأنه هرب بعد هزيمته إلى أصبهان ، وأنه أخذ يجمع من الأطراف والنواحي من أجابه ، حتى غلب على فارس أي « أن الرجل قد أقام دولة فعلاً » كما لاحظ الدكتور كامل الشيبى « ، ويبدو أن من استجاب إليه من أهل الكوفة جماعة الحربية ، كانوا آمنوا برجل من قبيلة كندة الغالية - هو عبد الله بن عمر بن حرب الكندي ، كان بياناً ثم ادعى أيضاً وصية أبي هاشم ، وأن الإمامة خرجت من بني هاشم إليه ، وتحولت روح

(١) نفس المصدر ص ١١٩ .

(٢) التوحي : فرق الشيعة ص ٣٢ .

أبي هاشم إليه، وكان الرجل محرقاً ، فأدرك بعض أتباعه خيانتة وكذبه فأعرضوا عنه ، وقالوا بإمامة عبد الله بن معاوية ^(١) وكان يعاونه رجلان مخارق بن موسى مولى ابن بشكر، وقد دخل دار الإمارة، وطلب البيعة من الناس فقالوا : علام نبايع ؟ فقال على ما أجبتموه وكرهتموه . فبايعوا ^(٢) ثم وجد ضالته في رجل يقال له عبد الله بن الحارث من أهل المدائن ومن شذاذ الشيعة ^(٣) وسيصبح هذا الرجل فيما بعد رئيس فرقة الحارثية .

وكان عبد الله بن معاوية يدعو إلى الرضا من آل محمد ، ثم ما لبث أن دعا إلى نفسه ^(٤) . وبهذا أعطى مثلاً للعباسيين من بعده ، ونلاحظ أنه لم يتبعه عرب الكوفة ، فقد كانوا كما قلت إمامية ، بل إن الغلاة منهم كانوا يلتصقون بالبيت العلوي الفاطمي ، ولكن سرعان ما استجاب له أهل فارس كما قلنا ، ويبدو أن عبد الله بن الحارث - وكان من غلاة أهل المدائن - كان داعية ممتازاً له ، عرف أهل فارس ، وكان أبوه نفسه زنديقاً ، فادعى أن الله نور وهو في عبد الله بن معاوية ، ثم قال : من عرف الإمام فليصنع ما يشاء . وكانت هذه آراء تجد صدى في قلوب الكثيرين من الفارسيين المستسلمة . وفي إيجاز - التف حول عبد الله بن معاوية « شذاذ صنف الشيعة » ^(٥) ، فأقام مجتمعاً إباحياً ، سيطر على فارس حقبة قصيرة من الزمن ، واستولى على إصطخر وشيراز وكرفان وقم ، وقصدته بنو هاشم جميعاً ومنهم السفاح والمنصور ، فمن أراد منهم عملاً قلده ، ومن أراد صلة وصله ، وحين تولى مروان بن محمد أرسل إليه جيشاً ، حتى إذا قرب من أصبهان ، تخلى أتباعه عنه . فهرب إلى خراسان ، وفي الطريق نزل على رجل من التناذى مروءة وفي خلال الحديث نرى لماذا لم يتابعه الشيعة الحقيقيون ؛ فقد سأله : أنت من ولد رسول الله ؟ فأجاب عبد الله : لا . فسأله مرة أخرى : أفأنت إبراهيم الإمام (الإمام إبراهيم والد الخلفاء العباسيين) الذي يدعى له بخراسان ؟ قال عبد الله بن معاوية : لا . فقال الشيخ : فلا حاجة لي في نصرتك . وانتهى أمر عبد الله بن معاوية إلى خراسان وسلم نفسه إلى أبي مسلم الخراساني ويقال : إن أبا مسلم سلمه إلى والي الأمويين ابن هبيرة فقتله وأرسل رأسه إلى مروان بن محمد عام ١٢٩ هـ .

وقد عرف أتباع عبد الله بن معاوية بالجناحية نسبة إلى جعفر بن أبي طالب جدهم الأعلى والمشهور بذي الجناحين ، وعرف أتباع عبد الله بن الحارث بالحارثية ، وهذا هو مجمل آرائهم :

(١) الأصباغ : مقاتل الطالبيين .. ص ١٢١ .

(٢) الشهرستاني : الملل ج ١ ص ٢٤٤ .. والبغدادى : الفرق ص ١٤٩ والأشعري : مقالات ج ١ ص ٦ .

(٣) نفس المصدر ص ١٢٢ .

(٤) التوحيدي : فرق الشيعة ص ٣٢ .

(٥) التوحيدي : فرق الشيعة ص ٣٤ .

١ - إن الله نور ، وإن الأرواح تناسخ من شخص إلى شخص وإن روح الله تناسخت ، كانت في آدم ثم في شيث ، ثم دارت في الأنبياء إلى أن انتهت إلى علي ثم دارت في أولاده الثلاثة حتى وصلت إليه وحلت فيه . فقيه الإلهية والنبوة معاً . وأنه يعلم الغيب (١) . وأن العلم بنبت في قلبه كما ثبت الكفاة (٢) .

٢ - أن الثواب والعقاب في الأشخاص ، إما أشخاص بنى الإنسان وإما في أشخاص الحيوانات . وأن التناسخ يكون في الدنيا والعقاب في هذه الأشخاص . وتأول قوله تعالى « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » أن من وصل إلى الإمام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم ، ووصل إلى الكمال والبلاغ . ويشير الشهرستاني إلى أصل المذهب المانوي القديم ، ويذكر أيضاً أن الحرورية والمزدكية الحديثة في العراق إنما نشأت عن دعوة الجناحية (٣) .

ويشرح النوبختي المذهب شرحاً وافياً - فيذكر أن أصحاب عبد الله بن معاوية يدعون أنهم يتعارفون في كل جسد صاروا فيه على ما كانوا عليه ، مع نوح عليه السلام في السفينة فهم « أصحاب السفينة » ومع كل نبي في عصره وفي زمانه ، ثم عادوا أيضاً في أيام محمد ﷺ ، ويسمون « بأصحاب الرسول » ، ويزعمون أن أرواحهم فيه ، وقد نسبوا مذهبهم إلى الصحابي جابر بن عبد الله وإلى التابعي جابر بن يزيد الجعفي ، ويتأولون الحديث « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » فيدعون « فنحن نتعارف » كما قال علي عليه السلام وكما روى عن النبي ﷺ (٤) .

ثم يشرح النوبختي فكرة التناسخ والأظلة والدور عند الجناحية ، وهي صدى للغنوصية الفارسية « للتناسخ والأرواح مدة ووقت . وهو أن كل دور في الأبدان الإنسانية فذلك للمؤمنين خاصة » ثم هم يتحولون إلى ذواب التزهة مثل الأفراس والشهاري ، وفي غيرها مما يكون لمواكب الملوك والخلفاء وذلك على قدر أديانهم وطاعتهم لأنهم ، فيحسن إليها أصحابها في علفها وإمسакها وتحليها بالديباج ، وغيره من الخلال النظيفة المرتفعة والسروج المحلاة وأما من لم يسم بإيمانه إلى إيمان المؤمنين ، فيكون في ذواب لأوساط الناس والعوام ، ونمكت الأرواح في هذا الانتقال ألف سنة ، ثم تحول ثانية إلى الأبدان الإنسانية عشرة آلاف سنة . وهذا امتحان لها ، لكيلا يدخلهم العجب فتزول طاعتها لأنهم . أما الكفار والمشركون والمنافقون والعصاة فينتقلون في الأبدان المشوهة عشرة آلاف سنة ما بين القيل

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٣٢٤ .

(٢) البغدادى : الفرق ١٥٠ والأشعري : مقالات ج ١ ص ٦ .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٤٥ . (٤) النوبختي : الشيعة ص ٣٩ .

والحمل إلى البقرة الصغيرة . والتأويل ثانية يأخذ مكانه فتأولوا قول الله « حتى يلج الجمل في سم الخياط » ، وليس من المعقول أن الجمل يستطيع أن يسلج في سم الخياط ، والله لا يكذب . إذن لابد من أن يكون ذلك ولا يتحقق هذا إلا بتقصان جسمه وتصغيره ، في كل دور ، حتى يرجع الفيل والجمل إلى حد البقرة الصغيرة فتدخل حينئذ في سم الخياط ، فإذا خرج من سم الخياط ، رد إلى الأبدان الإنسانية ألف سنة ، فصار في الخلق الضعيف المحتاج في عوام الناس ، وكلف بالأعمال المضنية والتعب والمشقة والصناعات المذمومة القدرة - كل على حسب معاصيهم ويمتنحون في هذه الأجسام بالإيمان والرسول والأنبياء والأئمة ومعرفتهم ، فإذا لم يؤمنوا وكذبوا ولم يعرفوا إمامهم ، فلا يزالون متقلبين في هذه الأبدان الإنسانية على هذه الحال - ألف سنة ، ثم يردون بعد ذلك إلى ذلك العذاب ، إلى الأمر الأول عشرة آلاف سنة . وينتهي النوبت إلى القول « فهذه حالهم أبد الآبدين ، ودهر الدهارين ، هذه قيامتهم وبعثهم ، وهذه جنتهم ونارهم وهذه الرجعة عندهم . لا رجوع بعد الموت - والقوالب تفتى وتلاشى ولا تعود ولا تريد أبداً (١) . ومن ثم أباحوا المحرمات وعاشوا عيشة من لا تكليف عليه .

• • •

قتل عبد الله بن معاوية - كما قلت - وبقى عبد الله بن الحرث مدة يحل لهم الخمر والميتة والزنى واللواط وسائر المحرمات ، ويسقط العبادات وتأولها على أنها كنايات عن نجب موالاتهم من أهل البيت ، والمحرمات على أنها كنايات عن قوم يجب بغضهم كأبي بكر وعمر وطلحة والزبير وعائشة (٢) وأخيراً - ما مصير الجناحية والحارثية في فارص ؟ يرى النوبختي أنهم انقسموا إلى فرق ثلاث وكان عبد الله بن الحارث نفسه حياً بعد قتل عبد الله بن معاوية ، ونقلت إليه الألوهية ، وتذكر بعض المصادر أنه رجع عن أقواله ، وحاول ما استطاع أن يبين لأتباعه كذب ما ادعاه ، ولكنهم لم يصدقوه .

أما الفرقان الأولى والثانية : فقد آمتا بمهديته ، وأنه حتى لم يمت ، مقيم في جبال أصفهان خالداً ، وأنه هو القائم المهدي الذي بشر به النبي ﷺ وأنه يملك الأرض ويملؤها قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً ، ثم بسلم الأمر عند وفاته إلى رجل من بني هاشم من ولد فاطمة . والفرقة الثالثة : قالت إن عبد الله مات ولم يوص وليس بعده إمام ، فاتهاوا وصاروا مذبحيين بين صفوف الشيعة وفرقها لا يرحلون إلى أحد (٣) وقد استمر النقاش بين الجناحية والحارثية من ناحية ،

(١) النوبختي : فرق الشيعة ص ٣٩-٤١ . (٢) النوبختي : فرق الشيعة ص ٢٥ ، ٣٦ .

(٣) البغدادي : الفرق ص ١٥٠ .

وبين الراوندية من ناحية ، يقول الشهرستاني : إن النزاع والجدل استقر بين أصحاب محمد بن هلى وأصحاب عبد الله بن معاوية ، كل يدعى الوصية من أبى هاشم إليه ، « ولم يثبت الوصية على قاعدة تعتمد (١) » وأخيراً — رضى الجناحية بأحد زعمائهم حكماً وهو أبو رياح وكان من رؤسائهم وعلمائهم . فشهد بأن أبى هاشم عبد الله بن محمد الحنفية أوصى إلى محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، لرجع معظم أصحاب عبد الله بن معاوية إلى القول بإمامة محمد بن على وقويت الراوندية بهم . والحق أن عقيدة الراوندية ستوافق هوى فى نفوس الجناحية ، إننا سنرى فيها نفس الأساطير . ولكن . . إن الجناحية مع الأسف الشديد مهدت السبيل لبابك الحرمى ولأفكاره — ولكل حركات الإباحية واستحلال قتل المسلمين التى سادت فارس فيما بعد — حقبة من الزمن طويلة فى عهد العباسيين .

• • •

والزيدية — كما سنرى بعد — هم أتباع زيد بن على بن الحسين — وكان زيد تلميذ واصل بن عطاء ، فى عقيدته ، فهو معتزلى — وكان أبو حنيفة تلميذ زيد فى الفقه ، فزيد إذن من أصحاب رأى فى فقهه . والمعتزلة أعداء الغنوص ، والأحناف أصحاب رأى والقياس ، أعداء التقليد . فكيف يحدث إذن غلو بين أتباعه ؟ وسمة الغلو هى الارتفاع بالأئمة إلى مرتبة القداسة والعصمة ، وهذا مالا نجده فى الزيدية .

لكن بعض الباحثين اعتبروا فرقة من الزيدية — هى الجارودية — من الغلاة بنسبتهم العلم الإلهى إلى آل البيت جميعاً ، وبهذا دخلوا فى عداد الغنوصية ، ثم بتكفيرهم الصحابة جميعاً لتركهم بيعة على ، ثم قالوا برجعة الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن وقد اعتبر إماماً زيدياً أيضاً . والجارودية حقاً من الغلاة ، ولكنى أفضل أن أضع الجارودية فى إطار الزيدية العام . ذلك أن الزيدية بدأت عقلية معتدلة أقرب إلى السنة ، ولكنها انتهت إلى فولكلور أسطورى فى الأئمة ، ارتفع بهم إلى مرتبة القداسة ، ولعل هذا التطور يكون أثراً من آثار الجارودية ولذلك أوفر بحث الجارودية إلى الفصل الخاص بالزيدية .